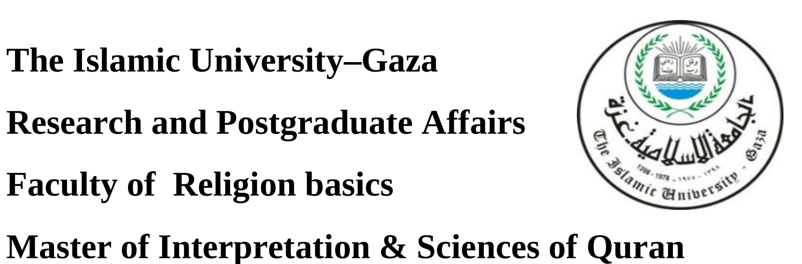
الجــــامعة الإســـــلاميـــة – غـــزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كـلـيـــــــة أصـــــول الـــديــــــن
مـاجستير التفسير وعلـــوم القرآن



The Islamic University–Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of Religion basics
Master of Interpretation & Sciences of Quran

السعي الإنساني بين الهداية والضلال
(دراسة قرآنية موضوعية)

Human Endeavor between Guidance and Misguidance
(A Quranic Objective Study)

إِعدَادُ البَاحِثَة

صفاء حسن المشهراوي

إِشرَافُ

الأستاذ الدُكتُور

محمود هاشم عنبر

قُدمَ هَذا البحثُ اِستكِمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي التفسير وعلوم القرآن بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

جمادى الآخرة/1438هـ – مارس/2017م

إقــرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

السعي الإنساني بين الهداية والضلال
(دراسة قرآنية موضوعية)
Human Endeavor between Guidance and Misguidance
(A Quranic Objective Study)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	صفاء حسن المشهراوي	اسم الطالبة:
Signature:	صفاء حسن المشهراوي	التوقيع:
Date:	2017/03/01م	التاريخ:





الجامعة الإسلامية-غزة

The Islamic University of Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref:

التاريخ: 2017/04/10م Date:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **صفاء حسن حسين المشهراوي** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

السعي الإنساني بين الهداية والضلال
"دراسة قرآنية موضوعية"

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الاثنين 13 رجب 1438هـ، الموافق 2017/04/10م الساعة الواحدة ظهراً ، في قاعة المؤتمرات مبنى اللحيدان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. محمود هاشم عنبر	مشرفاً و رئيساً	....
د. زهدي محمد أبو نعمة	مناقشاً داخلياً	....
أ.د. عبد السميع خميس العرابيد	مناقشاً خارجياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة

ملخص الرسالة

هدف الدراسة:

هدفت إلى دراسة قرآنية موضوعية لموضوع (السعي الإنساني بين الهداية والضلال).

عينة الدراسة:

عينة الدراسة كل آيات القرآن الكريم المشتملة على لفظة سعى ومشتقاتها.

منهج الدراسة:

اتبعت المنهج الاستقرائي الوصفي الموضوعي في التفسير.

أهم نتائج الدراسة:

1- سعي الإنسان في حياته هو المحور المفصلي والركيزة الأساسية في بيان مصيره في الآخرة، مع رحمة الله –تعالى– بعباده.

2- مدى حاجة المجتمع المسلم في كل وقت، ولاسيما العصر الحاضر للرجوع إلى هذا الموضوع والتركيز عليه وامتثال الجانب الصحيح منه في الحياة، في وقت تبدلت فيه كثير من الأسس السليمة الصحيحة، وانتشرت فيه الجريمة.

أهم التوصات:

1. أوصي نفسي أولاً والمسلمين بمراجعة سعيهم وانتهاج طريق الهداية في كل أمور حياتهم، وعدم الغفلة عن ذلك، فلن يقوم الدين ولن ينتشر العدل ولن يعم الأمان إلا بتقوى الله – تعالى– واجتناب طريق الضلال والعصيان.

2. أوصي طلبة العلم، ولا سيما العلم الشرعي بالاهتمام بموضوعات القرآن الكريم بالدراسة والدعوة والتطبيق، وربطها بالواقع المعاصر لمدى حاجة أنفسنا وأمة الإسلام إلى ذلك.

Abstract

Purpose of the study:

The study aimed to carry out a Quranic objective study about human endeavor between guidance and misguidance.

Study sample:

The study sample covers all the verses of the Noble Quran that include the word *sa'aa*, endeavor, and its derivatives.

Study Approach:

The study followed the inductive, descriptive, and objective approaches in the interpretation.

The most important findings of the study:

1. Human endeavor in his life is the keystone and main pillar of his destiny in the hereafter, which is dominated by the Almighty mercy to His slaves.
2. There is a great need in the Muslim community in every time, especially in the present time, to consider and ponder over this issue. This helps keeping the community's focus on the right way in a time that is characterized by the deviated concepts and crime spread.

The most important recommendations of the study:

1. The study advices the Muslim community to reconsider their endeavor in this life to be consistent with the Islamic guidance in all matters of life. Islam, justice, and security will not prevail without implementing the concept of *Taqwa*, fearing the Almighty Allah, and avoiding the way of misguidance and disobedience.
2. The study advices the students of knowledge, especially students of Islamic knowledge, to pay attention to the topics of the Noble Quran through the proper study, analysis, and implementation. They should also be linked to the reality considering the great need of introducing them from a contemporary perspective.

الإهـــداء

- إلى أرواح الشهداء الصادقين، وإلى المجاهدين الذين سلكوا درب الجهاد بغية رب العباد ﷻ، الذين رفعوا راية الله خفاقة، وصنعوا لنا درب العزة ومجد أمة الإسلام، وإلى الأسرى الذين قضوا زهرة شبابهم بين جدران الأسر.
- إلى خير والدين على وجه هذه الأرض، والدي الحبيبين اللذَيْن بذلا كلَّ غال وثمين لأجل سعادتنا وراحتنا، ومنحونا كلَّ جميل، وأجملها أن ربياني وإخواني تربية إسلامية بفضل الله.
- إلى سندي في الحياة بعد الله ﷻ، وقدوتي ودليلي ومعلمي الذي علمني كلَّ جميل وبهيّ، أخي الأكبر محمد.
- إلى العقد الثمين البهي المتراصة حباته، الذي يشد بعضه بعضاً، فيغدو أكثر إشراقاً، أخوتي وأخواتي.
- إلى مشرفي الأستاذ الدكتور محمود هاشم عنبر، وكلَّ من علمني حرفاً.
- إلى عائلتي وكل من أحب.
- إلى صديقاتي اللواتي كنَّ خير الرفيق في دربي.
- إلى المكتبة الإسلامية الغراء

إليهم جميعاً ...

أهدي ثمرة هذا البحث المتواضع وأسأل الله تعالى القَبول

شكر وتقدير

الحمدلله ذي الفضل والنِّعم، الحمدلله الذي ما اعتصم به امرؤٌ إلا وشدَّ أزره، الحمدلله الذي يغدق علينا العطاء، فبغيره ﷻ لا نقوى على شيء، الحمدلله الذي كان معي في كل خطوة خطوتها، والذي سدَّدَ أمري بكل حرف خطته يميني، والذي أنعم عليَّ بالتوفيق والسداد والصبر حتى أتمَّ جهدي هذا على وجه أرجو أن يكون جلُّه خالصاً لوجهه الكريم، والصلاة والسلام على قدوتي ومعلمي رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم– أما بعد:

انطلاقاً من قول الله ﷻ: ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ ﴾[النمل:40]، فإنَّنِي أتقدم بالشكر والعرفان إلى مشرفي الأستاذ الدكتور: محمود هاشم عنبر–حفظه الله– الذي لم يألُ جهداً في توجيهي ونصحي، فقد كان حكيماً حليماً صبوراً، فجزاه اللهُ خيرَ ما يجزي به الصالحين.

كما وأتقدم بالشكر لأستاذيَّ الفاضلين عضوي لجنة المناقشة

فضيلة الدكتور/ زهدي محمد أبو نعمة –حفظه الله– مناقشاً داخلياً.

وفضيلة الأستاذ الدكتور/ عبدالسميع خميس العرابيد –حفظه الله– مناقشاً خارجياً.

لقبولهما مناقشة هذه الرسالة، ولما سيبذلانه من توجيهات قيمة سيكون لها أثر طيب في إخراج هذه الرسالة في أحسن صورة، وأبهى حُلَّة، فجزاهما اللهُ خير الجزاء.

كما وأشكر كلَّ من علمني ولو حرفاً في مسيرتي العلمية والعملية، وكل من ساعدني في جهدي هذا، كما وأخص بالشكر أسرتي الحبيبة ممثلة بأبي وأمي وإخواني وأخواتي التي وقفت معي وكانت خير سند لي بعد اللهِ –تعالى–، فَلأُسرتي كل الحب والعرفان والتقدير.

ولا أنسى أن أشكرَ كلَّ من قدَّمَ لي نُصحاً، أو إرشاداً، أو أي مساعدة، فلهم جميعا شكري وتقديري، فبارك الله بهم جميعاً.

قائمة المحتويات

المقدمة

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث بهداية الله _تعالى_ رحمة للعالمين، وبعد.

لقد منَّ الله ﷿ علينا بأن أرسل فينا نبيه محمداً ﷺ برسالة القرآن الكريم الخالدة إلى يوم الدين، المحفوظة من الله تعالى من الخلط والتحريف والتغيير، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ** ﴾ [الحجر:9] والتي جعلها الله ﷻ مشكاة تنير لنا الطريق؛ لكي نستقيم على ما يرضيه، فأودع في كتابه العظيم كل ما لا غنى لنا عنه في كل زمان ومكان في دار الاستعداد ليوم الرحيل، ولن تتحقق هذه الاستفادة العظيمة إلا بتفسير القرآن العظيم، بتدبر آياته، وفهم معانيه، والوقوف على مكنونات الآيات، وخاصة تفسير العصر التفسير الموضوعي، الذي يركز الضوء على فهم آيات القرآن الكريم، ومعالجتها لقضايا الواقع المعاصر الذي نحياه؛ لأنَّ القرآن الكريم صالح لكل الأزمان، ولمَّا كان الإنسان مستخلفاً في الأرض بأمر الله ﷿ كان لابد له من سعي في هذه الأرض؛ ليحققَ الاستخلافَ كما يريدُ اللهُ ﷻ ويُعمِّرَ الأرضَ بالخير، ويتزود من الدنيا بالأعمال الصالحة لأخراه، لكنَّ النَّاس ليسوا جميعاً على إيمانٍ واحدٍ بالله _ تعالى _ ، و لا على منهاج واحد سليم صحيح؛ لذلك اختلف سعيهم في الحياة الدنيا، فمنهم من هو ساعٍ إلى طريق الهداية، ومنهم من هو ساعٍ إلى طريق الضلال، كما يقول الله ﷻ :﴿ **إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ** ﴾[الليل:4] فكان لابدَّ من بيان لذلك السعي، وملامحه، وميادينه، وثمراته، ونماذج للساعين، لكل إنسان سينتقل من دار الفناء إلى دار البقاء، ومن هذا المنطلق عزمتُ على الكتابة في موضوع بعنوان:

[السعي الإنساني بين الهداية والضلال – دراسة قرآنية موضوعية]

وذلك في إطار دراسة تفسيرية محكَّمة.

أولاً: أهمية الموضوع:

1. إنه يتناول موضوعاً من موضوعات القرآن الكريم، وشرف العلم من شرف المعلوم ومن تعظيم الله تعالى وكلامه.
2. حاجة المؤمنين إلى من يشد أزرهم، ويعينهم على الثبات على دين الله ﷿ من خلال كلام ربنا ﷻ في كتابه الكريم.
3. بيان أهمية رجوع المؤمن إلى الحصن الحصين القرآن الكريم في جميع مناحي الحياة.

4. إنَّ تعرف الإنسان على ثمرات السعي في طريق الهداية، وويلات السعي في طريق الضلال، يستنهض الهمم على الطاعة ويبعد النفس عن طريق الغواية والضلال.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

1. رغبة الباحثة في البحث في أحد موضوعات القرآن الكريم التي تلائم واقع الحياة المعاصر.
2. تثبيت قلوب المؤمنين وتذكيرهم بثواب الله تعالى لهم؛ لسعيهم في طريق الهداية.
3. افتقار المكتبة الإسلامية إلى بحث علمي محكم يتناول هذا الموضوع من جوانبه المختلفة، في إطار دراسة قرآنية تفسيرية موضوعية.

ثالثاً: أهداف البحث وغاياته:

للبحث أهداف كثيرة وغايات سامية أذكر أهمها:

1. ابتغاء مرضاة الله تعالى، هو أهم هدف وأسمى غاية أرجوها في دراستي هذه.
2. بيان ميادين سعي الإنسان، وما يترتب عليها من ثواب أو عقاب بياناً واضحاً.
3. خدمة القرآن الكريم، وذلك من خلال البحث في موضوع من موضوعاته.
4. إثراء المكتبة الإسلامية ببحث قرآني يتحدث عن اختلاف السعي الإنساني في إطار دراسة موضوعية محكمة.

رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد البحث في المكتبات الإسلامية، والمواقع البحثية والعلمية، ومن خلال مراسلة الباحثة لمركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، تبين أنه لا يوجد دراسات قرآنية محكَّمة حول هذا الموضوع.

خامساً: منهجية البحث:

اعتمدت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي ، وذلك حسب منهجية التفسير الموضوعي، ووفق الخطوات الآتية :

1. جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن سعي الإنسان بين الهداية والضلال.
2. توزيع الآيات القرآنية على فصول البحث، ومباحثه، ومطالبه.
3. وضع العناوين المناسبة للفصول، والمباحث، والمطالب.

4. تفسير الآيات القرآنية تفسيراً إجمالياً وفقاً لطبيعة البحث في التفسير الموضوعي، وربطها بالواقع المعاصر.
5. بيان معاني المفردات اللغوية بالرجوع إلى مصادرها الأساسية.
6. الاستدلال بالأحاديث النبوية والآثار التي تخدم البحث، وتخريجها من مصادرها، مع ذكر حكم العلماء عليها ما أمكن.
7. الاستدلال بأقوال العلماء، والمفسرين مع التوثيق في الحاشية حسب الأصول مع الاستعانة بمصادر ومراجع عامة مما له علاقة بالبحث.
8. توثيق الآيات القرآنية في متن البحث؛ تجنباً لإثقال الحواشي.
9. الوقوف على اللطائف والإشارات والعبر والعظات، واستنباط الأحكام التي تخدم موضوع البحث، مع ربط الموضوع بواقعنا المعاصر بما فيه من مستجدات.
10. الترجمة للأعلام المغمورة التي وردت في البحث.
11. عمل مقدمة مختصرة قبل الحديث عن أي فصل، أو مبحث، أو مطلب .
12. كتابة الخلاصة التي يتم التوصل إليها نهاية كل مبحث.
13. مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق، وذكر المصادر والمراجع في الحاشية مبتدئةً بذكر المؤلف، ثم الكتاب، ثم الجزء، والصفحة.
14. إعداد الفهارس اللازمة للآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والأعلام، والمصادر والمراجع، والموضوعات؛ وذلك لتسهيل الانتفاع بهذه الدراسة .
15. كلُّ ما جاء في متن البحث من غير توثيق له في الحاشية، فهو من اجتهاد الباحثة وأسلوبها.

سادساً: هيكلية البحث

تحقيقاً لأهداف البحث وغاياته فقد اشتملت الدراسة على المقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، والفهارس، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث وغاياته، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث، وهيكلية البحث.

الفصل التمهيدي

(السعي، والهداية، والضلال) بين المعاني اللغوية والاصطلاحية والسياق القرآني

وفيه:

أولاً : معنى السعي، والهداية، والضلال لغةً واصطلاحاً

1- السعي لغةً واصطلاحاً

2- الهداية لغةً و اصطلاحاً

3- الضلال لغةً واصطلاحاً

ثانياً: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

ثالثاً: سعى ومشتقاتها في السياق القرآني

1- في الآيات المكية

2- في الآيات المدنية

رابعاً: الألفاظ ذات الصلة

1- المشي

2- المضي

3- السباق

4- المسارعة

الفصل الأول

ملامح السعي الإنساني في الدنيا والآخرة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ملامح السعي الإنساني في الدنيا

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اختلاف السعي الإنساني

المطلب الثاني: هداية السعي الإنساني

المطلب الثالث: ضلال السعي الإنساني

المطلب الرابع: ليس للإنسان إلا ما سعى

المبحث الثاني: ملامح السعي الإنساني في الآخرة

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تذكر الإنسان لسعيه

المطلب الثاني: رضى الإنسان عن سعيه

المطلب الثالث: رؤية السعي

المطلب الرابع: شكر الإنسان على سعيه

المطلب الخامس: جزاء الإنسان على سعيه

المطلب السادس: سعي النور بين أيدي المؤمنين

الفصل الثاني

ميادين السعي بين الهداية والضلال

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: السعي في طريق الهداية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: السعي إلى ذكر الله ﷻ

المطلب الثاني: السعي إلى الآخرة

المطلب الثالث: السعي والعمل مع الآباء

المطلب الرابع: السعي لطلب الهداية

المطلب الخامس: السعي في تأييد رسل الله ﷺ

المبحث الثاني: السعي في طريق الضلال

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: السعي في خراب مساجد الله ﷻ

المطلب الثاني: السعي في الأرض بالفساد

المطلب الثالث: السعي في آيات الله معاجزين

الفصل الثالث

ثمرات السعي في الهداية، وويلات السعي في الضلال

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ثمرات السعي في الهداية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المغفرة والإكرام من الله ﷻ

المطلب الثاني: قبول السعي وعدم كفرانه

المطلب الثالث: دخول الجنة والفوز بنعيمها

المبحث الثاني: ويلات السعي في الضلال

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الويلات الدنيوية

أولاً: التقتيل

ثانياً: التصليب

ثالثاً: التقطيع

رابعاً: النفي

خامساً: الخزي

سادساً: الهلاك وزوال النعمة

المطلب الثاني: الويلات الأخروية

أولاً: عذاب عظيم

ثانياً: جهنم وبئس المهاد

ثالثاً: أنهم أصحاب الجحيم

رابعاً: عذاب من رجز أليم

خامساً: في العذاب محضرون

الفصل الرابع

نماذج من الساعين في طريق الهداية والضلال

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الساعون في طريق الهداية

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: سعي نبي الله نوح عليه السلام

المطلب الثاني: سعي نبي الله إبراهيم عليه السلام

المطلب الثالث: سعي هاجر أم إسماعيل –عليهما السلام–

المطلب الرابع: سعي نبي الله يوسف عليه السلام

المطلب الخامس: سعي أخت موسى عليه السلام

المطلب السادس: سعي صاحب صاحب الجنتين

المطلب السابع: سعي ذي القرنين

المطلب الثامن: سعي أبي بكر الصديق رضي الله عنه

المطلب التاسع: سعي هدهد سليمان عليه السلام

المبحث الثاني: الساعون في طريق الضلال

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: سعي إبليس في إغواء آدم وحواء –عليهما السلام–

المطلب الثاني: سعي قابيل في قتل أخيه هابيل

المطلب الثالث: سعي قوم سيدنا صالح عليه السلام في عقر النَّاقة

المطلب الرابع: سعي النمروذ بن كنعان

المطلب الخامس: سعي أخوة سيدنا يوسف عليه السلام

المطلب السادس: سعي قارون

المطلب السابع: سعي أصحاب الأخدود

المطلب الثامن: سعي كفار مكة

المطلب التاسع: سعي أبي لهب وزوجته

المطلب العاشر: سعي أبي جهل

المطلب الحادي عشر: سعي الوليد بن المغيرة

الخاتمة : وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات .

الفهارس العامة، وتشتمل على:

المصادر والمراجع

فهرس أطراف الآيات القرآنية

فهرس أطراف الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام المترجم لهم

الفصل التمهيدي

(السعي، والهداية، والضلال) بين المعاني اللغوية والاصطلاحية والسياق القرآني

التمهيد

(السعي، والهداية، والضلال) بين المعاني اللغوية والاصطلاحية والسياق القرآني

أولاً: معنى السعي، والهداية، والضلال لغةً واصطلاحاً

1- السعي لغةً واصطلاحاً

أ- السعي لغةً:

السعي: العمل، والكسب، والمشي بسرعة، وأصله: التصرف في كل عمل، وعليه قوله – تعالى-: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم:39]؛ أي: إلا ما عَمِلَ، وقيل: سعى في هذه الآية بمعنى نَوَى، وسَعَى يَسْعَى سَعْيَاً بمعنى عَدَا، وعَمِلَ، وكَسَبَ، وقَصَدَ، ونَمَّ: سعى بين الناس بالنميمة، ومَشَى، وسَاعَيْتُه: سَعَيْتُ مَعَه، وأَسْعَاهُ: جَعَلَهُ يَسْعَى، وسَعَى سِعَاية: إذا جَمَعَ مالَ الصَّدَقَة، والسَّاعِي: الوَالِي عَلَى أَيِّ أمْرٍ وقَومٍ كان، وإذا أُطْلِقَتْ لَمْ يُقصَد بها إلا عاملُ الصَّدقة، والمَسْعَاة: المكرمة والجود، وسَاعَى الرجلُ أَمَتَه: فَجَرَ بِهَا، وطَلَبَهَا للبِغَاء، ولا تكون المُسَاعَاةُ إلا في الإِمَاءِ خاصة دُونَ الحَرَائِر.

وتتعدد معاني السعي، باختلاف حرف الجر الذي تُعدَّى به، ومن ذلك أنه إذا عُدِّي بـ(إلى) كان بمعنى المُضِيِّ، كقوله تعالى: ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الجمعة:9]، وإذا عُدِّي باللام كان بمعنى العَمَل، كقوله ﷻ : ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾[الإسراء:19]، وسَعَى على القوم: وُلِّيَ عليهم، وسَعَى به إلى الوالي: وشَى به، وسَعَى المُكَاتَبُ في فَكِ رَقَبَتِه سِعَايَة: وهو اكْتِسَابُ المالِ لِيَتَخَلَّصَ بِه[1].

من خلال المعاني السابقة، يتبين للباحثة أن السعيَ لغة ينحصر في المعاني الآتية: العمل، والكسب، والمشي بسرعة، كما يأتي بمعنى نوى، وعدا، وقصد، ونمَّ، ومضى، ووشى، ووُليَّ على القوم.

---

(1) انظر: ابن فارس، مجمل اللغة لابن فارس (ج461/1)؛ والزمخشري، أساس البلاغة (ج456/1-457)؛ والرازي، مختار الصحاح (ج148/1)؛ وابن منظور، لسان العرب (ج385/14-387)؛ والحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ج277/1-278)؛ والفيروزآبادى، القاموس المحيط (ج1295/1)؛ وأبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ج509/1).

ب-السعي اصطلاحاً:

بعد الرجوع إلى مظان المعاني الاصطلاحية لمعنى السعي، لم أقف إلا على هذا، وهو أن السعي اصطلاحاً: المشي السّريع، وهو دون العدو، ويستعمل للجدّ في الأمر ، خيراً كان أو شراً، وأكثر ما يستعمل السَّعْيُ في الأفعال المحمودة[1]، ويمكن للباحثة من خلال النظر في المعاني اللغوية، أن تضيف شيئاً بسيطاً إلى هذا المعنى، وتقول: (السعي: هو قصد الشيء، والمُضِيّ إليه بالقلب أو الفعل، على سبيل السرعة، سواء كان في الخير أو الشر).

2- الهداية لغةً واصطلاحاً

أ- الهداية لغةً:

هَدَى، هَدْياً، وهِدَايَة: استرشد، واهْدِنَا: طَلَبُ الهداية من الله ﷻ، واسْتَهْدَى: طَلَبَ الهُدَى، والهادي: اسمٌ من أسماءِ اللهِ ﷻ الحسنى، وهَدَى فلانٌ هَدْيَ فلانٍ: سَارَ على طريقته و سَيْرِه، وهَدَيْتُ: قَصَدتُ، والهداية: "الدلالة"[2]، والهُدَى: طاعة الله ﷻ والورع، وأيضاً: الطريق والرشاد، كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:2].

وكلمتا الهدى والهداية قد وضعتا في اللغة في موضع واحد؛ لكنَّ الهدى خُصت بالله ﷻ بما تولاه وأعطاه، كما في قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [البقرة:5]، أما الاهتداء فهو مختصٌ بما يتحرَّاه الإنسان سواء في الأمور الدنيوية، أو الأخروية، على طريق الاختيار[3]، كما في قول الله ﷻ: ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾ [آل عمران: 20].

ويتعدى الفعل(هَدَى) إلى أكثر من حرف جر، وبحسب هذا الحرف يتحدد المعنى بدقة أكبر، ومن ذلك: "هدَاه إِلَى الطَّرِيق: إِذا أعلمهُ أَن الطَّرِيق فِي نَاحيَة كَذَا، وهداه للطريق: إِذا ذهب بِهِ إِلَى رَأس الطَّرِيق، وهداه الطَّرِيق: إِذا أدخلهُ فِيهِ وَسَار مَعَه حَتَّى بلغا الْمَقْصد"[4].

وجاءت لفظة الهدى في القرآن الكريم على أكثر من معنى، فقد جاءت على اثني عشر وجهاً، وهي: البيان، الطريق، اللطف، الهادي" المرشد"، الدعاء، المعرفة، أمر محمد ﷺ، الدين، الاستنان بسنن الماضين، الإصلاح، والإلهام[5].

---

(1) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ج307/1).

(2) الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (ج68/1).

(3) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ج703/2-704).

(4) أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ج953/1).

(5) انظر: العسكري، الوجوه والنظائر (ج497/1-499).

ب-الهداية اصطلاحاً:

الهداية هي "سلوك طريق يوصل إلى المطلوب"[1]، وقيل: "الْهِدَايَة هِيَ عِنْد أهل الْحق: الدّلَالَة على طَرِيق من شَأْنه الإيصال سَوَاء حصل الْوُصُول بِالْفِعْلِ فِي وَقت الاهتداء أَو لم يحصل"[2].

3- الضلال لغةً واصطلاحاً

أ- الضلال لغةً:

ضلَّ: "الضَّادُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ ضَيَاعُ الشَّيْءِ وَذَهَابُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ"[3]، و"ضَلَّ يَضِلُّ ضلالاً، والضَّلَال: ضد الهُدَى، وضلَّ الشيء: إذا خَفِيَ، وغَابَ، وضللتُ الشيء: إذا أُنْسِيْتُه"[4] وقيل: ضلَّ الشيء: "ضَاعَ، وهَلَكَ"[5]، و"أضللتُ الميِّتَ: إذا دَفَنْتُه"[6]، و"أَضَلَّه: أضَاْعَه، وأَهْلَكَه، والاسم: الضُلُّ"[7]، و"فلان ضُلُّ بن ضُلٍّ: إذا كان مُنْهَمِكَاً في الضَّلَال"[8]، وقيل: "إذا كان لا يُعْرَف هو، ولا يُعرَف أبوه"[9]، و"ضَلَلْتُ أَضِلُّ، ومنه قوله – تعالى-:﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِيۖ ﴾ [سبأ: 50] وهذه لغة نجد، وهي الفصيحة، وأهل العالية يقولون: ضَلِلْتُ بالكسر أَضَلُّ"[10]، و"رجلٌ ضِلِّيلٌ ومُضَلَّلٌ : ضالٌ جداً، والضَّاْلة: ما ضلَّ من البَهِيْمَة للذَّكَرِ والأُنْثَى"[11]، و"الضَّلَضِلَةُ: الأرض الغليظة، والإضلال: في كلام العرب ضد الهداية والإرشاد، وقيل: أصل الضلال: الغيبوبة، يُقال: ضلَّ الماءُ في اللبن: إذا غاب، وضلَّ الكافر: غاب عن الحجة، وضلَّ الناسي: إذا غاب عنه حفظه، قال تعالى:

(1) الجرجاني، التعريفات (ج256/1).

(2) أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ج952/1).

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج356/3).

(4) الأزدي، جمهرة اللغة (ج147/1).

(5) الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج1748/5).

(6) الهروي، تهذيب اللغة (ج319/11).

(7) ابن منظور، لسان العرب (ج393/11 ، 395).

(8) المرجع السابق، ج395/11؛ والفيروزآبادي، القاموس المحيط (ج1024/1).

(9) الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج1748/5)؛ وابن منظور، لسان العرب (ج395/11).

(10) ابن منظور، لسان العرب (ج390/11).

(11) الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج1748/5)؛ والرازي، مختار الصحاح (ج185/1).

﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾ [طه: 52]، أي: لا يغيب عنه شيء، ولا يغيب عن شيء، وقوله تعالى: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة: 282]، أي: تغيب عن حفظها، أو يغيب حفظها عنها"[1].

فمن خلال تتبع المعاني اللغوية للفظة الضلال ومشتقاتها، لاحظتُ أنها وردت في اللغة بمعنى ضياع الشيء وذهابه وخفاؤه، وتأتي بمعنى الانهماك والهلاك والغياب وهو ضد الهداية.

وقد جاءت لفظة (ضَلَلَ) في القرآن الكريم على ثمانية أوجه، وهي: " الإغواء، الاستنزال، الخسران، الشقاء، الإبطال، الخطأ، النسيان، والضلال بعينه"[2].

ب-الضلال اصطلاحاً:

1. الضلال: هو " العدول عن الطريق المستقيم، ويضاده الهداية ، قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾[يونس: 108]، ويُقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً ، يسيراً كان أو كثيراً "[3].
2. وقيل: هو "أَن لَا يجد السالكُ إِلَى مقْصدِه طَرِيقاً أصلاً"[4].
3. وقيل أيضاً: هو " أَن تخطئ الشَّيْء فِي مَكَانِهِ وَلم تهتد إِلَيْه"[5].

والضلال ضربان: "ضلال في العلوم النظرية: كالضلال في معرفة الله، ووحدانيته، ومعرفة النبوة، ونحوهما المشار إليهما بقوله ﷻ:﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: 136]، وضلال في العلوم العملية: كمعرفة الأحكام الشرعية التي هي العبادات"[6].

ويمكننا الجمع بين هذه التعريفات، والقول بأنَّ الضلال هو: العدول عن كل ما يُوصل إلى معرفة الله ﷻ، وطاعته، ورضوانه في الدنيا، والفوز بنعيمه في الآخرة، قصداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً.

---

(1) الهروي، تهذيب اللغة (ج319/11-320).

(2) الدامغاني، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم (ج292/1).

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ج388/2)؛ وأبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ج576/1).

(4) أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ج576/1).

(5) المرجع السابق،ج576/1.

(6) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ج389/2).

ثانياً: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

بعد النَّظر في المعاني اللغوية، والاصطلاحية، لكلٍّ من لفظة: (السعي، والهداية، والضلال) تَبَيَّنَ أنَّ هناك علاقة واضحة بين المعاني اللغوية، والاصطلاحية لكل لفظة، فالمعاني اللغوية أعم، وأكثر من الاصطلاحية، لكنَّها علاقة بيان، وترادف، وإيضاح تجمع بينهما، والمعنى اللغوي يُعدُّ الدليل الذي يُسْتَدَلُ به في تكوين المعنى الاصطلاحي ، وتركيبه.

ثالثاً: سعى ومشتقاتها في السياق القرآني

تتنوع آيات القرآن الكريم، بين مكية، ومدنية، ولكُلٍّ منها موضوعاتها التي تتناولها، وتُعرف بها، وقد جاء هذا اللفظ القرآني (سعى)، ومشتقاته ثلاثين مرة، حيث وردت هذه الآيات في إحدى وعشرين سورة من القرآن الكريم، موزعة بين الآيات المكية والمدنية على النحو الآتي.

1- الآيات المكية.

وردت لفظة سعى ومشتقاتها في ثماني عشرة آية مكية، موزعة على أربعة عشر سورة، وذلك على النحو الآتي:

صيغة المصطلح القرآني	الآية القرآنية	رقم الآية	اسم السورة
سَعَى	﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا...﴾	19	الإسراء
	﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾	39	النجم
	﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾	35	النازعات
سَعَوْا	﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾	5	سبأ
تَسْعَى	﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾	15	طه
	﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾	20	طه
	﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾	66	طه

صيغة المصطلح القرآني	الآية القرآنية	رقم الآية	اسم السورة
يَسْعَى	﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ... ﴾	20	القصص
	﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾	20	يس
	﴿ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴾	22	النازعات
	﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴾	8	عبس
يَسْعَوْنَ	﴿ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾	38	سبأ
السَّعْيَ	﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾	102	الصافات
سَعْيَكُمْ	﴿ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴾	4	الليل
سَعْيَهُ	﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾	94	الأنبياء
	﴿ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴾	40	النجم
سَعْيَهَا	﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴾	19	الإسراء
	﴿ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ﴾	9	الغاشية
سَعْيُهُمْ	﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا﴾	19	الإسراء
	﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾	104	الكهف

2- الآيات المدنية.

وردت لفظة سعى ومشتقاتها في عشر آيات مدنية موزعة على سبع سور، وذلك على النحو الآتي:

صيغة المصطلح القرآني	الآية القرآنية	رقم الآية	اسم السورة
سَعَى	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ... ﴾	114	البقرة
	﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ...﴾	205	البقرة
سَعَوْا	﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾	51	الحج
يَسْعَى	﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم...﴾	12	الحديد
	﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ..﴾	8	التحريم
يَسْعَوْنَ	﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾	33	المائدة
	﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾	64	المائدة
فَاسْعَوْا	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ...﴾	9	الجمعة
سَعْياً	﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	260	البقرة
سَعْيُكُمْ	﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾	22	الإنسان

فمن خلال ما سبق يتبين للباحثة أن عدد السور المكية التي وردت فيها لفظة سعى ومشتقاتها ضعف عدد السور المدنية.

دراسة حول ورود سعى ومشتقاتها في الآيات المكية والمدنية:

بعد استعراض الآيات التي تشتمل على لفظة سعى، ومشتقاتها، ومعرفة المكي من المدني منها، يمكننا استنباط ما يأتي:

1- في الآيات المكية.

الصيغ:

إن الصيغ التي اشتملت عليها الآيات المكية لسعى، ومشتقاتها، تنحصر في الفعل الماضي الذي يفيد تأكيد الحدوث، الذي جاء بالإفراد والجمع، وفي الفعل المضارع الذي يفيد التجدد والاستمرار، وقد جاء بالتذكير والتأنيث، وبالإفراد والجمع، وجاء أيضاً بالمصدر على اختلاف الضمير الذي أُسندَ إليه، أما فعل الأمر فلم يَرِد مطلقاً في الآيات المكية.

الموضوعات

تتميز مرحلة الدعوة المكية بالتركيز على جوانب العقيدة، كتوحيد الله تعالى في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، واليوم الآخر، والبعث، والحساب، والجنة، والنار، وغيرها من العقائد المتينة الصحيحة التي ينبغي أن تترسخ في قلب كل عبد لله ﷻ، وهذا أمر طبيعي لأنَّ أهم ملامح المرحلة المكية وأهدافها تصحيح المسار العقائدي الذي كان طاغياً على عقول أهل الجاهلية ومعشعشاً في قلوبهم.

ومن أهم الموضوعات التي اشتملت على هذا اللفظ القرآني ما يأتي:

أ. من أراد الدار الآخرة، وسعى لها سعياً طيباً، فهؤلاء هم أصحاب السعي المشكور.

ب. لكل إنسان سعيه الخاص به، ولن ينفع أحداً سعيُ غيره، فكل امرئٍ سينتفع بسعيه الذي سعاه لنفسه.

ج. سعي كل إنسان لن يذهب سُدى، وسيتذكر كل واحد سعيه يوم العرض على الله ﷻ يوم الحساب، وسيُجزى كلُّ ساعٍ بحسب سعيه في الدنيا، إن كان خيراً فخيراً، وإن كان شراً فشراً.

د. من سعوا، ومن لا يزالوا يسعون في آيات الله معاجزين، أولئك لهم عذاب من رجز أليم، وهم في العذاب محضرون، عقاباً لهم؛ لسعيهم الباطل المذموم، كسعي الطاغية فرعون، وكل من تجبَّر في الأرض.

هـ. كما أن هناك من يسعى في الباطل، فإن من عباد الله ﷻ من يسعى في طاعته، و الدعوة إليه، ونصرة رسله وأنبيائه، وتأييدهم، كسعي سيدنا إسماعيل مع أبيه إبراهيم _عليهما السلام_ ، ومن جاء لنصرة نبي الله موسى –عليه السلام– ، وسعي عبدالله بن أم مكتوم الذي جاء ساعياً طالباً للهداية وطاعة الله ﷻ.

و. الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً، أولئك هم الأخسرون أعمالاً.

2- في الآيات المدنية.

الصيغ

اشتملت الآيات المدنية على نفس الصيغ التي احتوتها الآيات المكية، والتي تتمثل بالفعل الماضي الذي يفيد تأكيد الحدوث، وقد ورد بالإفراد والجمع، والفعل المضارع الذي يفيد التجدد والاستمرار، والذي جاء بالإفراد والجمع أيضاً، ووردت كذلك بالمصدر وما أُضيف إليه من ضمير، وخُصت الآيات المدنية بصيغة فعل الأمر "فاسعوا" والتي لم تَرِد مطلقاً في الآيات المكية، وتحمل صيغة الأمر معنى الحث والطلب، وما دام الأمر والطلب من الله ﷻ فهو أمر بالخير والصلاح، وما فيه من نفعٍ عائدٍ على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة، وتَفَرَدُ الآيات المدنية بهذه الصيغة بخلاف الآيات المكية؛ لكون الإيمان في الفترة المدنية كان قد رسخ في القلوب هو والعقيدة السليمة الصحيحة، فجاء الحث من الله ﷻ لعباده المؤمنين بفعل الخيرات وكل ما يُصلحهم وينفعهم في الدارين.

الموضوعات

تتميز موضوعات الآيات المدنية، أنها تتحدث عن الآداب التي لابد للفرد المسلم المؤمن أن يتأدب بها، وبالأخلاق التي لابد أن يتخلَّقَ بها، وبكمال الإيمان الذي يُفَضَّل أن يصل إليه المؤمن غير مكتفٍ بأصل الإيمان فحسب، ونبذ النفاق والمنافقين، والتحذير منهم، ومن التحلي بأخلاقهم ونفاقهم، ويأتي الحديث عن هذه الموضوعات الأدبية الأخلاقية السامية، وغيرها، بعد أن رسخت العقيدة بالله ﷻ في القلوب، واستقرت، فأُتِيَ بعدها بما فيه الوصول إلى السمو والرفعة بكل تعاليم الدين الحنيف، والموضوعات التي اشتملت على هذا اللفظ، هي كما يأتي:

أ. الذين يمنعون مساجد الله تعالى من أن يُذكرَ فيها اسمه، ويسعون في خرابها، أولئك ليس أظلم منهم عند الله ﷻ.

ب. المنافقون هم الذين يُقابلون النبي ﷺ والمؤمنين، بالوجه الحسن، وطيب الكلام، ويُظهرون الإيمان، لكنهم إذا تولوا عن النبي ﷺ ومن آمن معه، فإنهم يسعون في الأرض فساداً، ويهلكون الحرث، والنَّسل؛ لكن الله ﷻ لا يحب الفساد.

ج. الله ﷻ لا يحب الفساد، ولا يُحب المفسدين الذين يسعون فيه.

د. الذين سعوا في آيات الله معاجزين، اولئك هم أصحاب الجحيم.

هـ. النبي ﷺ ومن آمن معه، نورهم يسعى بين أيديهم، وبأيمانهم يوم القيامة.

و. جزاء الذين يُحاربون اللهَ ﷻ، ورسولَه ﷺ، ويسعون في الأرض فساداً.

ز. سعي الطير لنبي الله إبراهيم -عليه السلام- عندما طلب من الله ﷻ أن يريه كيف يحي الموتى؛ ليطمئن قلبه.

ح. طَلَبُ اللهِ ﷻ من المؤمنين بالسعي إلى ذكره، وترك البيع، وتلبية النداء إذا حضرت الصلاة.

ط. السعي المشكور، هو ما كان خالصاً لله ﷻ، وعلى الوجه الذي يرتضيه -سبحانه وتعالى-.

وتلاحظ الباحثة أنَّ هذه الموضوعات التي وردت لفظة السعي ومشتقاتها في سياق الحديث عنها هي موضوعات مناسبة للمرحلة المدنية، فالحديث عن بيوت الله ﷻ مناسب لهذه المرحلة؛ لأنَّ المساجدَ لم تُبْنَ إلا بعد الهجرة، وكذلك الحديث عن النفاق والمنافقين فما ظهر النفاق إلا بعد أن قامت للمسلمين قائمة على أرض المدينة المنورة، وكذلك الحديث عن محاربة اللهِ ورسولِهِ والسعي في الأرض بالفساد، وهي الآيات التي تحدثت عن حد الحرابة نتيجة لخيانة العرنيين وغيرهم ممن وقفوا في وجه دعوة اللهِ -تعالى- وصَدُّوا عن سبيله.

رابعاً: الألفاظ ذات الصلة.

لفظة (سعى) ومشتقاتها، ليست اللفظة الوحيدة في الكتاب العظيم، التي تحمل معنى العمل، والكسب، والحث عليهما، إنما وردت ألفاظ أخرى ذات صلة بـ (سعى) ومشتقاتها، وبيان بعضها على الوجه الآتي:

1- المشي

جاءت مشتقات هذه اللفظة تسع مرات، في ثماني آيات مكية، وآية مدنية، وجاءت هذه الآيات في ثماني سور من سور القرآن، منها سبع سور مكية، وسورة مدنية، ومن ذلك:

أ- قوله ﷻ: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ ﴾[البقرة:20].

ب- قوله ﷻ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ [الفرقان:63].

ت- قوله ﷻ :﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[الملك: 15].

2- المُضِيّ

جاءت مشتقات هذه اللفظة مرتين، في آيتين مكيتين، في سورتين مكيتين من سور القرآن، وهما:

أ- قوله ﷻ: ﴿ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴾[الحجر:65]

ب- قوله ﷻ: ﴿ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ]﴾[الزخرف:8]

3- السباق

جاءت مشتقات هذه اللفظة تسع مرات، في ست آيات مكية، وآيتين مدنيتين، وجاءت هذه الآيات في ثماني سور من سور القرآن، منها ست سور مكية، وسورتان مدنيتان، ومن ذلك:

أ- قوله ﷻ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ...﴾ [التوبة: 100]

ب- قوله ﷻ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾[المؤمنون:61]

ت- قوله ﷻ:﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحديد:21]

4- المسارعة

جاءت مشتقات هذه اللفظة تسع مرات، في ثلاث آيات مكية، وست آيات مدنية، وجاءت هذه الآيات في أربع سور من سور القرآن، منها سورتان مكيتان، وسورتان مدنيتان، ومن ذلك:

أ- قوله ﷻ:﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:133].

ب- قوله ﷻ: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة:62].

ت- قوله ﷻ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾[المؤمنون: 61].

5- الذهاب

جاءت مشتقات هذه اللفظة سبعة وأربعين مرة، في ثلاثين آية مكية، وستة عشر آية مدنية، وجاءت هذه الآيات في سبعة وعشرين سورة من سور القرآن، منها سبعة عشر سورة مكية، وعشر سور مدنية، ومن ذلك:

أ- قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة:20].

ب- قوله ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾[الأنعام:133].

ت- قوله ﷻ:﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[فاطر :34].

الفصل الأول

ملامحُ السعيِ الإنسانيّ في الدنيا والآخرة

الفصل الأول
ملامحُ السعيِ الإنسانيّ في الدنيا والآخرة

أنزل الله ﷻ القرآن الكريم تبياناً لكل شيء، قال -تعالى-: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل:89]، وجعله دستوراً عظيماً قويماً يحكم حياة الناس، ويوجهها نحو الاتجاه السليم، وبيَّنَ فيه ملامح كل شيء؛ لِيَحسُنَ السير إلى الله ﷻ على الوجه الذي يرتضيه، وإنَّ من هذه الأمور، وأشدها أهمية سعيُ الإنسانِ في الدنيا، الذي يقودُه إلى الفوزِ والفلاحِ في الدارين، أو إلى الخيبة والعذاب، فوضَّح ربنا – جلَّ ذكره– ملامح هذا السعي، لئلا يكون للناس حجةٌ على الله ﷻ يومَ العرض عليه، وفي هذا الفصلِ بيانٌ لملامح السعي الإنسانيَ في الدنيا والآخرة، وهذه الملامح مقسَّمةٌ على هذين المبحثين، ومطالبهما:

المبحث الأول
ملامحُ السعيِ الإنسانيِّ في الدنيا

الدنيا دارُ ممرٍ مُرتَحلٌ عنها، ودار فناء لا بقاء، ودار كدٍّ وعمل وجد واجتهاد وجهاد يسير فيها الإنسان ساعياً لبلوغ الدار الآخرة، دارِ القرار والبقاء، فمَيَّز الله ﷻ سعي الدنيا بملامح ينفرد بها عن سعي الآخرة، وفيما يأتي بيانها؛ لِيَصِحَّ السعي.

المطلب الأول: اختلافُ السعي الإنسانيّ

خلق الله ﷻ الإنس والجنَّ؛ ليعبدوه، وجعلَ الإنسانَ مُستَخلَفاً في الأرض، فاختلف سعي الإنسان وعمله، فمنه ما وافق منهج الله -جلَّ ثناؤه- ومنه ما خالفَ، ولقد قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾[الليل:4]، وجاءت هذه الآية الكريمة بعد أن أقسم الله ﷻ في مطلع السورة ببعض مخلوقاته، فأقسم بالليل، وبالنهار، وبخلق الذكر والأنثى، والله -تعالى- عظيم لا يُقسم إلا بعظيم، فإرداف هذا القسم بهذه الآية دلالة على عظمتها، ومدى أهميتها.

مناسبةٌ جَلِيَّةٌ وواضحةٌ، بين القَسَم الذي أقسم الله ﷻ به في مطلع سورة الليل، وبين جوابه ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾، حيث إن الأشياء المُقسم بها أشياء متضادة مختلفة، والمُقسم عليه وهو سعي الإنسان في الدنيا متضاد ومختلف ومتباعد، منه ما هو خير كنور النهار الذي يظهر ويملأ الوجود بالحياة، والضياء، والإشراق والنشاط، ومنه ما هو شر مظلم كظلمة الليل الذي يعم الخليقة بأسرها، فلا يكاد المبصر يبصر شيئاً لشدة العتمة والظلمة التي غشي بها هذا

الليل الوجود، وبما أن الناس مختلفون في صفاتهم وطباعهم وأهدافهم ورغباتهم ومعتقداتهم وعاداتهم ومختلف مناحي حياتهم، فإنَّ سعيهم مختلف في بواعثه، والاتجاه الذي يتجه نحوه، والنتائج التي تقود إليه، فمنهم مَن يؤمن بالله –جلَّ ذكره– وبآياته، و يسعى إلى الخير، وطاعة الله ﷻ، وفعل الصالحات، وعمل كل ما يَنالُ به العبد رضا ربه –سبحانه وتعالى–، ويدخله في الآخرة جنات النعيم، ومنهم من يكفر بالله ﷻ وبآياته، ويعصي ربه الذي أحسن خلقه، ويقترف الذنوب والخطايا صغيرها، وكبيرها، ويسعى في الإفساد في الأرض، وينكر البعث والحساب؛ فيتفنن في معصية الله –تعالى–، وجحوده، وعناده، وهذا الصنف من الناس لا ينالون سوى سخط الله –تعالى– عليهم في الدنيا، وجحيم جهنم في الآخرة[1].

ومما يزيد هذا المعنى تأكيداً، أنَّ هذه الآية نزلت في شأن أبي بكر الصديق ؓ الذي كان من أكثر الناس إحساناً، ونصرة لرسول الله ﷺ ودعوته، وفعلاً للخيرات، وعتقاً للعبيد، وفي شأن أمية بن خلف الذي أعرض عن دعوة الله ﷻ، وصدَّ عن دين الله ﷻ، وعذَّب مَن آمن به، وبرسوله ﷺ، " عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ[2]: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اشْتَرَى بِلَالًا مِنْ أُمَيَّةَ بْنِ خلف ببردة وعشرة أَوَاقٍ مِنْ ذَهَبٍ فَأَعْتَقَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ [الليل: 1] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴾ [الليل: 4] سَعْيَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ"[3].

المطلب الثاني: الهداية في السعي الإنسانيّ

السائرون في دروب الحياة الذين فهموا حقيقة وجودهم في هذه الدنيا، والغاية التي خُلقوا من أجلها، فاختاروا طريق الهداية، والرشاد، وتشربوا عقيدة التوحيد والإيمان، حتى اختلطت بدماء قلوبهم، فكانت لهم رواءً إذا ما ظَمِئوا في سيرهم، أو تعثرت خطواتهم، فكانوا دوماً على الهدى والخير، والرضا من ربهم ﷻ، أولئك الذين سعوا سعياً حثيثاً في كل ما هو خير، لينالوا نعيم حياة البقاء، وسعادة الآخرة التي لا تنقضي، والفرح الذي لا يتكدر صفوه، هم الذين أثنى

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج24/467–468)؛ والرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (ج31/182)؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/417)؛ وأبو السعود، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج9/166)؛ والشوكاني، فتح القدير (ج5/550)؛ وسيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/3922)؛ وابن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» (ج30/378).

(2) تمت الدراسة في مساقات الحديث إذا أطلق اسم عبدالله في سند الحديث فإنه يقصد به عبدالله بن مسعود ؓ، والمقصود هنا هو الصحابي عبدالله بن مسعود ؓ

(3) الواحدي، أسباب نزول القرآن (ج1/455).

الله ﷻ عليهم، ورفع ذكرهم في عليين، الذين اقتدوا بالرُّسل والأنبياء –عليهم الصلاة والسلام–، ففازوا في الدنيا برضا الله –تعالى– ورحمته، ولهم الفوز العظيم في الآخرة.

وهؤلاء الذين اختاروا طريق الهداية، هم الذين وفقهم الله –تعالى– للأعمال الصالحة، وهم الذين وعدهم ربهم ﷻ بالحياة الطيبة، والنعيم المقيم، وقد ذكر ذلك في كتابه العظيم، ليكون زاداً يتزود ويتقوى به المرء في حياته، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل:97]

تحمل هذه الآية الكريمة وعداً من الله –جلَّ ذكره– لكل من عمل عملاً صالحاً سواء كان ذكراً أو أنثى، ولِمَن صَدَّق بما وعد الله –تعالى– به عباده في الدارين، لكن يُشترط لصاحب هذا العمل أن يكون مؤمناً بالله –تعالى–؛ لأن الإيمان والإخلاص شرطان لقبول الأعمال عند الله ﷻ، فمن كان من أهل الإيمان والإخلاص والعمل الصالح، فقد نال ما أعدَّه الله –جلَّ ذكره– له، حيث وعده بالحياة الطيبة، والتي تعددت الأقوال فيها، حيث قيل: هي الرزق الحلال الطيب، وقيل: السعادة، وقيل: القناعة، وقال آخرون: الحياة في الجنة، حيث لا يطيب للمرء حياة إلا في الجنة، وقال غيرهم: العمل بالطاعة والانشراح بها، وقيل: الحياة الطيبة تشمل كل الأقوال التي ذُكرت، ويؤيد ذلك، ما جاء عن " عبدالله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ) "[(1)]، ثم ذكر الله – سبحانه وتعالى– أنه سيجزيهم في الآخرة أجوراً بأحسن ما كانوا يعملون من أعمال صالحة في الدنيا[(2)].

والأعمال الصالحة كثيرة جداً، وفعلها يسير، يستطيعه الإنسان؛ لأنَّ الله –تعالى– لم يُكلفِ العبادَ بشيء يصعب عليهم، أو يُثْقِل كاهلهم، ومن هذه الأعمال: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وبر الوالدين، وقراءة القرآن، وغض البصر، وذكر الله –تعالى–، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإماطة الأذى عن الطريق، وإعمار الأرض، والسعي فيها بالخيرات، والتحلي بالأخلاق الحسنة، وأداء النوافل، وكفالة اليتيم، وغيرها كثير، وهذه آية من كتاب الله –تعالى–، يذكر فيها اللهُ ﷻ بعضاً من الأعمال التي تحلَّى بها عباد الله –تعالى–،

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة/ باب في الكفاف والقناعة، 730/2: رقم الحديث 1054].

(2) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج289/17– 291)؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج601/4).

حتى أصبحت وصفاً ملاصقاً لهم، يقول الله –جلَّ ذكره– : ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[التوبة: 112].

المطلب الثالث: الضلال في السعي الإنسانيّ

منذ أن خلق الله –تعالى– آدم ﷺ، أَمَرَ الملائكةَ بالسُّجود له، فسجدوا إلا إبليس أبى، لقد عصى أمْرَ الله –تعالى–، وضلَّ عن سواء الطريق، وأخذ على نفسه عهداً أن يُضل بني آدم، ويغويهم، ويحرفهم عن طريق الهداية فيكونوا من أهل النار، كعاقبته هو بعدما عصى أمر ربه ﷻ، حيث أُخرجَ من الجنة، ومصيره إلى جهنم وبئس المصير، لقد أغوى بعض عباد الله –تعالى– فاتخذوه ولياً من دون الله ﷻ، وضَلُّوا وأَضَلُّوا عن سَواءِ السَّبيل، هؤلاء الذين فعلوا الذنوب صغيرها وكبيرها، والمعاصي، والفواحش، وأفسدوا في الأرض فساداً كبيراً، فكان سعيهم في ضلال، ونتيجته البطلان.

قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا * ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴾[الكهف: 103–106]، في هذه الآية خطاب موجه من الله –تعالى– إلى نبيه محمد ﷺ بأن يقول لِمَن يُجادلونه بالباطل، ويبغون غير طريق الحق، هل نخبركم بالأخسرين أعمالاً ؟ وهؤلاء الأخسرون، تعددت فيهم أقوال السلف، فقيل هم: اليهود والنصارى، وقيل: الحروريون – الخوارج–، وقيل: الرهبان أهل الصوامع، وقيل: مشركو مكة، لكنَّ الأرجح أن المقصود بالأخسرين يُحمل على العموم، فهي تشمل كل من كان عمله خاسراً، ثم يبين الله ﷻ أن هؤلاء الأخسرين، هم الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا، بأن كانوا يعملون أعمالاً باطلة، منافية ومعاكسة للحق، وزاغوا عن طريق جادة الصواب، وأزاغوا غيرهم، هؤلاء يحسبون أنهم كانوا يُحسنون صُنعاً، وأنَّهم مأجورون على ما يعملون، وأنَّ لأعمالهم القبول؛ لكنَّ الأمر في الحقيقة خلاف ذلك، وأولئك هم الذين كفروا وجحدوا بآيات الله، وأنكروا البعث والنشور، واليوم الآخر، ولقاء الله ﷻ، فكانت نتيجة كفرهم وجحودهم أن بطلت أعمالهم وحبطت فلا تنفعهم أعمالهم الباطلة أعمال الضلال، ولا تنفعهم أيضاً بعض أعمالهم الحسنة التي ذهبت هباءً منثوراً لكفرهم، وعدم إيمانهم، وإضافة إلى بطلان أعمالهم، أنهم لا وزن لهم في الآخرة، وقيل في ذلك أنهم لا قيمة لهم، ولا قيمة لأعمالهم، فلا وزن لهم، ولا مقدار، ويوافق ذلك حديث رسول الله ﷺ، " عَنْ

أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، (اقْرَءُوا فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا)) "[1]، وقيل: أنهم لا تُوزن أعمالهم حقيقة؛ لأن الميزان لمن عمل الحسنات والسيئات من الموحدين، ثم يبين الله ﷻ أنَّ هؤلاء في الآخرة جزاؤهم جهنم يصلونها؛ لكفرهم واتخاذهم آيات الله –تعالى– ورسله سخرية وهزواً [2].

وكل معصية لله –تعالى– هي ضلال عن طريق الحق، سواء كانت من الكافرين، أو من المسلمين العُصاة ومن أمثلة ذلك: الكفر بالله –تعالى– وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وعدم أداء العبادات المفروضة، والأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف، وشهادة الزور، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والصَّد عن ذكر الله –تعالى–، وتخريب بيوت الله ﷻ، وقتل النفس التي حرَّم الله –تعالى– قتلها بغير وجه حق، والزنا، وقذف المحصنين والمحصنات، وأكل المحرمات من الأطعمة، وشرب المحرمات من المشروبات، وكذلك من الضلال في الأرض النفاق، وهو إبطان الكفر وإظهار الإيمان، قال الله ﷻ: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: 67]، وهذه الآية الكريمة تحدثت عن بعض أعمال المنافقين، وآيات القرآن الكريم التي ذكرت المنافقين وأفعالهم كثيرة، ولا مجال لحصرها كلها هنا، وكذلك فإن أفعال الضلال التي نبذها القرآن الكريم أكثر من تلك التي ذكرتُها، ومن ضلَّ سعيه في الدنيا، فقد خسر الدنيا والآخرة ما لم يتب ويرجع إلى ربه ﷻ.

المطلب الرابع: ليس للإنسان إلا ما سعى

الدنيا دار العمل، والآخرة دار الحساب والجزاء، فمن أحسن العمل، نال الأجر والثواب، ومن أساء العمل، نال العقاب والعذاب، وكل امرئ سيُسأل يوم القيامة عن عمله وسعيه، ولن ينفعَ العبدَ حينها سوى عمله فحسب.

---

(1) [مسلم، صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، 2147/4: رقم الحديث 2785].

(2) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج125/18-129)؛ والقرطبي، تفسير القرطبي (ج65/11-66)؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج201/5-203)؛ والشوكاني، فتح القدير (ج372/3-373)؛ والسعدي، تفسير كلام المنان (ج487/1).

يقول الله ﷻ: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[النجم: 39]، وهذه الآية من كتاب الله ﷻ تبينُ أنَّ لكل إنسان سعيه وعمله الذي عمله لنفسه، فلا ينفع سعيُ إنسانٍ إنساناً آخر، وكُلٌّ حسب عمله، إن كان خيراً فينالُ خيراً، وإن كان شراً فينالُ شراً، وإنَّ الإنسانَ إذا مات انقطع عمله، وأصبح بلا عمل يؤجر عليه، باستثناء بعض الأعمال التي يصلُ إليه أجرها بعد مماته، "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ ﷺ، قَالَ: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)"[1] فالصدقة الجارية يستمر وصول أجرها للإنسان كبناء مسجد على سبيل المثال، والعلم الذي يُعَلِّمَهُ للناس فينتفعون به في دنياهم وأخراهم، وولده الذي يُحسن تأديبه وتربيته، فهو من عمله أيضاً فيصله أجر حُسن تأديبه، ودعاء ولده له، وكذلك فإنه يصله دُعاء الأحياء له، وأَدَاء الصدقةِ عن روحِهِ، واستغفار الملائكة له، وشفاعة الأنبياء يوم القيامة، وهذه الأعمال المستثناة هي مُخَصِّصة لعموم الآية الكريمة التي تفيد أن الإنسان لا ينتفع إلا بسعيه، كما أنَّ قوله –تعالى–: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور:21] هي من مخصصات عموم الآية الكريمة، حيث ذهب البعض إلى أن آية سورة النجم منسوخة بآية سورة الطور، والراجح أن علاقة عموم وخصوص بينهما، لا علاقة ناسخ ومنسوخ [2]، ومن الأعمال التي تنمو إلى يوم القيامة، الرباط في سبيل الله ﷻ، " عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (كُلُّ الْمَيِّتِ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ، فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ مِنْ فَتَّانِ الْقَبْرِ) "[3].

ولقد ذكر الله –تعالى– في موضع آخر من كتابه العزيز، كيف يكون حال الإنسان في القيامة، حيث يفرُّ المرء من أهله أجمعين، وحينها لا يفكر إلا بنفسه وبعمله، وهل سيكون من الناجين الفائزين، أم الخاسرين المُعَذَّبين، قال الله –تعالى– : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم: كتاب الوصية/ باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، 1255/3: رقم الحديث 1631].

(2) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج546/22–547)؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج465/7)؛ وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج163/8)؛ الشوكاني، فتح القدير، (ج137/5–138)؛ والسعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ج821/1).

(3) [أبو داود: سنن أبو داود، كتاب الجهاد/ باب في فضل الرباط، 9/3: رقم الحديث 2500]. حكم الألباني: صحيح.

ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴾ [عبس:33-37]، والنَّبِي ﷺ أخبر أيضاً في الحديث الشريف أنّ من كان عمله ناقصاً، ولم يعمل عملاً صالحاً ينفعه في الدنيا والآخرة، فلن ينفعه نسبه، " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (... وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) "[1].

نخلص بعد الحديث في هذا المبحث إلى أنَّ للسعي الإنساني في الدنيا ملامح تتمثل بكونه مختلفاً فليس كل الناس على الهداية والصلاح، وليس كلهم على الفساد والعصيان والضلال، وأنَّ من اختار الهداية سعى في دروبها البهية، ومن اختار الضلال سعى في طريقه الشائك، وفي نهاية الرحلة ليس لكل إنسان سوى سعيه الذي سعاه في دنياه، فإن كان سعيه سعيَ هداية فقد أفلح وفاز، وإن كان سعي ضلال فقد خاب وخسر.

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، 2074/4: رقم الحديث 2699].

المبحث الثاني

ملامح السعي الإنساني في الآخرة

تختلف الدار الآخرة اختلافاً كبيراً عن الدنيا، فهي دار البعث بعد الموت، ودار يُحاسَب فيها المرء على عمله، ثُمَّ يُجزى عليه إما جنة وإما ناراً؛ لذلك فإنَّ السعي الإنسانيّ في الآخرة يتميز بملامح خاصة، بيانها فيما يأتي:

المطلب الأول: رُؤْيَةُ السَّعْي

بيَّن الله ﷻ في محكم التنزيل، أن سعي الإنسان الذي سعاه، وعمله في الدنيا، سيُعرض يوم الحساب، ويُرى.

قال –تعالى– : ﴿ **وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ** ﴾[النجم:40]، تُظهرُ هذه الآية أن سعي الإنسان سيُكشف ويُعرضُ عليه يوم القيامة في صحيفته، وميزانه، ويُرى له عمله سواء كان خيراً، أو شراً، وهذا وعد من الله –تعالى–، ولن يُخلفَ اللهُ ﷻ وعدَه، وفي هذا العرض للسعي، بشارة للمؤمن، حيث إنَّ الله ﷻ يُري عبده هذا عمله، ويُفاخر به، وأنَّه يُري الملائكةَ، وسائرَ الخلقِ، عملَ المؤمنِ وهذا يكون فرحاً للمؤمن، أما الكافر فيكون هذا الكشفُ والعرضُ لعمله حزناً له؛ لسوءِ عمله، هذا المعنى إذا اعتبرنا أن الفعل يُرى من أَرَيْتُهُ الشَّيْءَ، أما إذا اعتبرنا أنَّه من رَأى يَرَى، فيكون المعنى أنَّ الله ﷻ يُخبره بسعيه ويُجازيه عليه، كما في قوله ﷻ: ﴿ **وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[التوبة:105] [(1)].

ولو سألَ سائلٌ، كيف يُرى العملُ يومَ القيامة، بعد مُضِيِّه ووجوده في الدنيا ؟

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج547/22)؛ والواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ج1042/1)؛ والرازي، مفاتيح الغيب (ج277/29)؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج465/7)؛ والبقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج72/19)؛ وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج164/8)؛ والسعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ج821/1).

يقولُ الإمامُ فخرالدِّين الرازي[1] مُجيباً عن ذلك: " فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: يَرَاهُ عَلَى صُورَةٍ جَمِيلَةٍ إِنْ كَانَ الْعَمَلُ صَالِحًا، ثَانِيهِمَا: هُوَ عَلَى مَذْهَبِنَا غَيْرُ بَعِيدٍ فَإِنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ يُرَى، وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ كُلِّ مَعْدُومٍ فَبَعْدَ الْفِعْلِ يُرَى، وَفِيهِ وَجْهٌ ثَالِثٌ: وَهُوَ أَنَّ ذَلِكَ مَجَازٌ عَنِ الثَّوَابِ يُقَالُ: سَتَرَى إِحْسَانَكَ عِنْدَ الْمَلِكِ أَيْ جَزَاءَهُ عَلَيْهِ وَهُوَ بَعِيدٌ لِمَا قَالَ بَعْدَهُ: ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفى "[2].

وفي الحديث الشريف ما يُبين كيف يُري اللهُ ﷻ العبدَ يومَ القيامة ما عَمِلَهُ في الدنيا، "عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ المَازِنِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ ابْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – آخِذٌ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى[3] ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ[4] وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: **﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾** [هود:18]. "[5]

---

(1) فخرالدين الرازي: هو أبو عبدالله، محمد بن عمر بن الحسين القرشي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد، المُلقب بفخر الدين، ابن خطيب الري الشافعي الأشعري، الفقيه الحكيم الأديب المتكلم المفسر العلّامة فريد دهره ونسيج وحده، وكان شديد الحرص جداً في العلوم الشرعية، والحكمية، ومن أشهر مصنفاته: تفسير مفاتيح الغيب، وُلد عام 544 هـ، وتوفي يوم عيد الفطر من عام 606هـ بهراة في دار السلطنة، انظر: الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (ج2585/6– 2587).

(2) الرازي، مفاتيح الغيب (ج277/29).

(3) النجوى: هي التكالم سراً، والمراد ما يقع بين الله –تعالى– وبين عبده المؤمن يوم القيامة من إطلاعه على معاصيه سراً فضلاً منه –سبحانه– [البخاري: صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب/ باب قول الله –تعالى–: (ألا لعنة الله على الظالمين) [هود:18]، 128/3: رقم الحديث 2441].

(4) كنفه: ستره وحفظه، [البخاري: صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب/ باب قول الله –تعالى–: (ألا لعنة الله على الظالمين) [هود:18]، 128/3: رقم الحديث 2441].

(5) المرجع السابق [البخاري: صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب/ باب قول الله –تعالى–: (ألا لعنة الله على الظالمين) [هود:18]، 128/3: رقم الحديث 2441].

المطلب الثاني: تَذَكُّرُ الإنسان لِسَعْيِه

يوم القيامة بعدما يُكْشَفُ للإنسان سَعْيُه، ويُعرضُ عليه، ويرى ما كان من خير أو شر، حينها يتذكر عمله في الحياة الدنيا.

يقول الله –تبارك وتعالى– : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ۞ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾ [النازعات 34–35]، يتحدثُ الله ﷻ عن حدثٍ مَهُوْلٍ وعظيمٍ، من أحداث يوم القيامة، عن مجيء الطامة الكبرى الهائلة التي تعلو وتغلب كل شيء وتطم كل هائل وعظيم، وقد تعددت الأقوال في بيان هذه الطامة، فقال البعض: هي يوم القيامة، وقال آخرون: هي النفخة الثانية، التي يُحشر فيها العبادُ إلى عَرَصاتِ يوم القيامة، وقال غيرهم: هي الساعة التي يُساق فيها أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وآخر هذه الأقوال: أن الله ﷻ فَسَّرَ الطامة الكبرى بقوله: ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾، وذهب بعض المفسرين إلى أن المعنى في هذه الآية: ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾، على تقدير فعل محذوف تقديره: أعني يوم يتذكر الإنسان، وذهب آخرون إلى أنها بدل من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ حيث إنَّ من أهوال هذا اليوم، ومما يقع فيه عرضُ أعمالِ العبادِ عليهم ورؤيتُها وتَذَكُّرُها، يتذكرها كلها خيرها وشرها، فمن عمل خيراً في الدنيا ابيضَّ وجهُهُ، واسْتبشَرَ، وفَرِحَ عندَ تذكُّرِ سَعْيِهِ، قال –تعالى–: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾[عبس 38–39] ، وأما من عمل شراً، فإنَّه يَسْوَدُّ وجهُهُ ويَخْزَى من عمله الذي عمله في الدنيا،قال تعالى:﴿ وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ [عبس 40–42]، وكون الإنسان يتذكر في الآخرة سعيه الذي كان في الدنيا بعد أن كُشف له، فهذا دليل على أنه نسي سعيه، فَأراه اللهُ ﷻ له وذَكَّره به، وهذا يتوافق مع قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة:6]، فالله –سبحانه وتعالى– أحصى كل ما عمله الإنسان في الدنيا، وما من صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها؛ لكنَّ العبدَ ينسى ذلك لغفلته وطول أمده(1).

ولابُدَّ لمن عرف ذلك أن يلزم الطريق الصواب، الذي فيه رضا الله –تعالى– في الدنيا، والفرح، والاستبشار، والفوز بالجنان في الآخرة؛ لأن الإنسان مهما طال عمره، أو قَصُر فإنه

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج211/24)؛ والزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج697/4)؛ والرازي، مفاتيح الغيب (ج48/31).

لامحالة سيحضُرُهُ الأجل، وسيُبعثُ يوم القيامة ليرى عمله، ويتذكره، ثم يُحاسَبُ عليه، ثم ينال الجزاء إما جنة وإما ناراً، فالعاقل من اختار طريق السلامة، وابتعد عن طريق الغفلة و والندامة.

المطلب الثالث: رضى الإنسان عن سعيه

لقد ذكر الله ﷻ في كتابه الكريم، أحوال العباد، بعد رؤية أعمالهم، وسعيهم في الدنيا، وتذكُّرهم لها، فكُلُّ إنسان حسب سعيه، إن كان سَعْيُه محموداً فهو من أهل الرضا، وإن كان سَعْيُه مذموماً فهو من أهل السخط.

يقول الله ﷻ: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ** ﴾[الغاشية:8-9]، الحديث هنا عن أهل الإيمان بالله ﷻ، الذين اختاروا طريق الهداية، وتمسكوا بشرع الله ﷻ الذي شَرَّعه في القرآن الكريم، واهتدوا بهَدي سيدنا محمد ﷺ، فهم يوم القيامة وجوههم ناعمة متنعمة، ذات حُسْنٍ، وجمال، وبهجة؛ لِمَا عملوا من عمل صالح في دنياهم، ونالوا عليه أجوراً عظيمة، وقد وصفهم الله ﷻ في مواضع أخرى من القرآن العظيم، منها قوله–تباركَ وتعالى–:﴿ **تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ** ﴾[المطففين:24]، وقوله ﷻ: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ** ﴾[القيامة:22]، وذهب المفسرون إلى أن قوله ﷻ: ﴿ **لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ** ﴾ يحمل معنيين:

أحدهما: أنَّ هذه الوجوه، يوم القيامة تكون حامدة راضية لسعيها الذي سعته في الدنيا من العمل بأمر الله ﷻ واجتناب نهيه، لِمَا رأت من نعيم الله ﷻ، وثوابه.

وثانيهما: أنها راضية لثواب سعيها الذي نالته من الله –تعالى–، فهي نالت أجراً ونعيما أرضاها، لا تريد أكثر منه[1].

المطلب الرابع: شكر الإنسان على سعيه

الإنسانُ بطبيعته، وفطرته السليمة، يُحبُّ أن يُحمدَ ويُشكَرَ على فعله الحسن المحمود، وشكره يزيده عطاءً وإحساناً، والله ﷻ لمَّا كلَّف العبادَ بما فيه صلاح دنياهم وآخرتهم، لم يغفل عن شُكرِ الطائعِ المؤْتَمِرِ بأمره، والمنتهي عن نهيه؛ ليبقى المرءُ على صلاحه وإحسانه، ويَسْتَزِدِ أكثر من الخيرات والصالحات.

يقول الله–جلَّ ثناؤه–:﴿ **وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَمُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم**

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج385/24)؛ والواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ج1197/1)؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج386/8)؛ وابن عاشور، التحرير والتنوير (ج299/30).

﴿ مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء:19]، تتحدث هذا الآية الكريمة، عن سعي الإنسان لأجل الآخرة، وقد ذكر الله ﷻ إرادة الآخرة هنا بصيغة الفعل الماضي (أراد) التي تدل على الرسوخ في الشيء، وليبين الله ﷻ أنَّ العمل لأجل الدار الآخرة أولى بالاهتمام من التمتع بملذات الدنيا الفانية ونسيان المرجع إلى الله ﷻ، فيقول الله ﷻ من كان همه الفوز بالآخرة، والتنعم والتمتع بنعيم الجنة السرمدي الذي لا زوال له، ولا عناء فيه ولا كدر، وعمل لأجل هذه الدار وما فيها من الخيرات والنعم، فاستمسك بكتاب الله ﷻ وعمل بما فيه، وأْتَمَرَ بأمر ربه ﷻ، وانتهى عن نهيه، واتبع نبيه محمداً ﷺ وعَضَّ بنواجذه على سنته ﷺ، وهو مؤمن بالله ﷻ ومصدق بثوابه الذي وعد به عباده المؤمنين، وكون جملة (هو مؤمن) اسمية إنما للدلالة على الثبات والاستمرار والدوام، وأن هذا المرء راسخ الإيمان بالله ﷻ وكل ما أخبر به، ثم يبين الله –جلَّ ذكره– أنَّ هؤلاء المذكورين كان سعيهم مشكوراً، أي: تُضاعف لهم الحسنات من الله –تعالى–، وقيل: أن سعيهم وعملهم في الدنيا مقبول غير مردود، وقيل: أن الشكر على السعي هو الثواب على الطاعة، وقيل: أنه حسن جزائهم على أعمالهم الصالحة، والتجاوز عن سَيِّئِهَا برحمة الله ﷻ[1]، ولقد " اشْتُرِطَ ثلاث شرائط في كون السعي مشكوراً: إرادة الآخرة بأن يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور، والسعي فيما كُلِّفَ من الفعل والترك، والإيمان الصحيح الثابت "[2].

وفي موضع آخر في محكم التنزيل، يقول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإنسان:22]، ولقد جاءت هذه الآية عقب الآيات التي ذكر الله ﷻ فيها النعيم الذي أعدَّه ربنا ﷻ من الفوز بالجنة، والاتكاء على الآرائك، والظلال التي تدنو على أهل الجنة، وعيون الماء الجارية، والشراب الذي يُسقونه، والولدان المخلدون الذي يقدمون لأهل الجنة ما يريدونه، يقول الله –تعالى– مخاطباً عباده المؤمنين (إن هذا كان لكم جزاء)، أي أنَّ هذا النعيم جزاءً لكم على أعمالكم الصالحة في الدنيا، وابتغائكم وجه الله ﷻ والخوف منه، ورجاء رضوانه ونعيمه، وقوله (وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا) أي أن العمل الذي عملتموه في الدنيا رضيه الله ﷻ وقَبِلَه منكم، وأثنى عليه، وأثابكم عليه، وقيل: إنَّه مشكور أي: غفر الله ﷻ لهم الذنب، وشكر لهم الحسن، وقيل: إن الله ﷻ أعطاهم النعيم المقيم في مقابل العمل القليل، وهذه الآية حُذف فيها القول، وهي على تقدير: يُقال لهم إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً، أو

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج17/409–410)؛ والواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ج1/630)؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج10/235–236)؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/63)؛ وابن عاشور، التحرير والتنوير (ج15/60–61).

(2) الزمخشري، الكشاف (ج2/656).

يقول لهم ربهم، أو مقولاً لهم هذا اللفظ، أو قائلاً لهم هذا اللفظ [1]، وذهب الإمام الرازي إلى أن هذه الآية تحمل وجهين وهما:

"الأول: قال ابن عباس المعنى أنَّه يُقال لأهل الجنة بعد دخولهم فيها، ومشاهدتهم لنعيمها: إنَّ هذا كان لكم جزاء قد أعدَّه اللهُ –تَعَالَى– لكم إلى هذا الوقت، فهو كله لكم بأعمالكم على قلة أعمالكم، كما قال حاكياً عن الملائكة: إنَّهم يقولون لأهل الجنَّة: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾[الرَّعْدِ: 24] وَقَالَ تعالى: ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴾ [الْحَاقَّةِ: 24]، والقائل بهذا لتفسير جعل القولَ مضمراً، أَيْ ويُقال لهم هذا الكلام.

والوجه الثاني: أَنْ يكونَ ذلك إخباراً من اللَّهِ –تَعَالَى– لعباده في الدنيا، فكأنَّه –تَعَالَى– شرح جوابَ أهل الْجَنَّةِ، أَنَّ هذا كان في علمي وحكمي جزاءً لكم يا معاشر عبادي، لكُم خَلَقْتُهَا، ولأجلكم أَعْدَدْتُهَا "[2].

إنَّ القارئ والمتدبر لهذه الآيات الكريمة، لابُدَّ أن يكون أكثر حرصاً على فعل الصالحات وابتغاء رضوان الله ﷻ، فمن صَلُحَت دنياه صَلُحت آخرته، وفاز بالنعيم المقيم، ومن ضلَّ وساءت دنياه ساءت آخرته، وباء بالخسران المبين.

المطلب الخامس: جزاء الإنسان على سعيه

الله ﷻ هو العدلُ الذي لا يَظلم أبداً، ومن عدله ﷻ أنه يبعثُ العبادَ يومَ الحساب؛ ليجزيَ كلَّ إنسانٍ على ما عَمِلَ، فلا يستوي المسلم والكافر، ولا الصالح والطالح، ولا المحسن والمسيء، ولا المقسط والقاسط، ولا المعطي والمانع، ولا يستوي من اختار طريق الهداية ومن اختار طريق الضلال، ولقد أخبر الله ﷻ أن الساعة قائمة ووقوعها متحقق لامحالة؛ لتُجزى كل نفس يوم القيامة بما كانت تسعى في الدنيا، ولذلك أخفى اللهُ ﷻ علمَ الساعة ووقت وقوعها عن جميع الخلائق، فلا يعلم وقتها إلا هو ﷻ، قال الله –جلَّ ثناؤه– :

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴾ [طه:15].

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج115/24)؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج147/19-148)؛ والسعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ج901/1)؛ وابن عاشور، التحرير والتنوير (ج401/29).

(2) الرازي، مفاتيح الغيب (ج756/30).

وبيَّنَ اللهُ ﷻ في كثيرٍ من آياتِ القرآنِ الكريمِ جزاءَ العبادِ على أعمالِهِم في الدنيا، ووصفَ الجنةَ ونعيمَهَا ورغبَّ العبادَ فيها؛ ليَعْمَلوا العملَ الصالحَ ويكونوا من أهْلِهَا، و من ذلك قوله –تعالى–: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ * فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ * كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الطور:17–20] ، ووصفَ النارَ وجحيمَها ورهَّبَ العبادَ منها ليحذروا كل ما يُقَرِّبُ إليها مِنْ قَولٍ أو عملٍ، كما في قوله ﷻ :﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ* يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾ [القمر:47–48].

ويقول الله ﷻ: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: 37–41]، هذه آية من الآيات القرآنية التي يُظهِرُ اللهُ ﷻ فيها جزاءَ العبادِ يومَ القيامةِ على سعْيِهِم وعملِهِم في الدُّنيَا.

وفي الآيةِ السابقة يذكرُ اللهُ ﷻ لنا العملَ الذي قدَّمَه الإنسانُ والجزاءَ الذي يسْتَحِقُّه، أي: " من تمرَّد وعتا، وقدَّمَ الحياةَ الدُّنيا على أمرِ دينِه وأُخْرَاه، فإنَّ مصِيرَه إلى الجحيم، ومطعَمَه من الزَّقُّوم، ومشْرَبَه من الحميم، وأمَّا من خاف القيام بين يدي اللهِ ﷻ، وخافَ حكمَ اللهِ فيه، ونهى نفسَه عن هَوَاهَا، وردَّهَا إلى طاعةِ مَوْلاها ﷻ، فإنَّ منقلبَه ومصيرَه ومرجعَه إلى الجنَّةِ الفَيْحَاء"[1].

إنَّ الإنسانَ الذي يعصي اللهَ ﷻ، ويتمادى في عصيانه، ويُقدمُ الدنيا بشهواتها ومتاعها الزائل تقديماً كلياً على الدار الآخرة، ويتبع ما تمليه عليه نفسه ضارباً بعرض الحائط كل ما شرعه الله ﷻ، ومنكراً وجاحداً للبعث والحساب فقد جعل الله ﷻ له نار جهنم مُسْتَقراً على ما فرَّط في جنب الله –جلَّ ثناؤه–، وما أشد وأفظع عذاب جهنم لمن يصلاها، قال –تعالى– : ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج:19–22]، وأما من اتقى الله ﷻ في سره وعلانيته، وخشيَ ربَّه وعمل ليوم يقف فيه بين يديه –جلَّ ثناؤه– وكفَّ نفسَه عن هواها، وسخرَّ حياته في طاعة الله ﷻ، وأخذ من الدنيا بقدر ما يُرضي الله –تعالى– لقوله ﷻ: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/317–318).

﴿ تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [القصص:77]، هؤلاء يُكرمهم الله ﷻ بالنعيم المقيم في جنات النعيم، خالدين فيها أبداً، لا يَرَوْنَ فيها نصباً ولا تعباً.

المطلب السادس: سعي النور بين أيدي المؤمنين

يُميزُ اللهُ ﷻ الخلائقَ بعضهم عن بعض بعلامات تظهر عليهم عندما يُساقون إلى أرض المحشر بعد أن يخرجوا من قبورهم، وكُلٌّ بحسب سعيه وعمله في الدنيا، فالمؤمنون يُعرفون بسيماهم بالنور الذي يظهر عليهم ويسعى بين أيديهم وبأيمانهم، وأما الكفار والمنافقون يظهر الخوف والوجل عليهم.

ولمَّا كان القرآن الكريم دستوراً لهذه الأمة حتى قيام الساعة، فقد ذكر الله ﷻ فيه ما يُثبت المؤمنين على إيمانهم، والصبر على أداء الطاعات والعبادات كما يُحب الله –جلَّ ذكره– ويرضى.

يقول الله ﷻ:﴿ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۖ بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [الحديد: 12]، ويقول ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [التحريم:8].

يصفُ اللهُ ﷻ حال المؤمنين يوم القيامة، بأنَّ نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، وقد تعددت أقوال المفسرين في معنى هذه الآية، " فقال بعضهم: معنى ذلك: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يضيء نورهم بين أيديهم وبأيمانهم"(1) ، فقد جاء عن " الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو(2)، عَنْ قَيْسِ بْنِ السَّكَنِ(3)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ ، فِي قَوْلِهِ ﷻ ﴿ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِم ﴾ [الحديد: 12] قَالَ: (يُؤْتَوْنَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ مِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ الْجَبَلِ وَأَدْنَاهُمْ نُورًا مَنْ نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِهِ

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج178/23)؛ ووانظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج455/29).

(2) هو المنهال بن عمرو الأسدي، مولاهم الكوفي، قال عنه ابن معين والنسائي وابن حِبان والعجلي: ثقة، وقال غيرهم: صدوق، انظر: العجلي، تاريخ الثقات (ج442/1).

(3) هو قيس بن السكن الأسدي أحد بنى سواءة بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان توفى في زمن مصعب بن الزبير روى عن عبد الله بن مسعود، قال عنه يحيى بن معين: ثقة، انظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج98/7-99).

يُطْفِئُ مَرَّةً وَيُوقَدُ أُخْرَى) "[1]، وقال آخرون: "بل معنى ذلك: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى إيمانهم وهداهم بين أيديهم، وبأيمانهم: كتبهم، عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾ : كتبهم، يقول الله:﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الانشقاق: 7]، وأما نورهم فهداهم "[2]، وذكر الإمام فخرالدين الرازي معنيين آخرين: أحدهما: "المراد من النور ما يكون سبباً للنجاة، وإنما قال بين أيديهم وبأيمانهم؛ لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين، كما أنَّ الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم، والثاني: المراد بهذا النور الهداية إلى الجنة، كما يُقال ليس لهذا الأمر نور إذا لم يكن المقصود حاصلاً، ويُقال هذا الأمر له نور ورونق، إذا كان المقصود حاصلاً "[3]، وقال ابن عاشور: " وَالنُّورُ الْمَذْكُورُ هُنَا نُورٌ حَقِيقِيٌّ يَجعله الله لِلْمُؤْمِنِين فِي مَسِيرِهِمْ مِنْ مَكَانِ الْحَشْرِ إِكْرَامًا لَهُمْ وَتَنْوِيهًا بِهِمْ فِي ذَلِكَ الْمَحْشَرِ، وَالْمَعْنَى: يَسْعَى نُورُهُمْ حِينَ يَسْعَوْنَ، فَحَذَفَ ذَلِكَ لِأَنَّ النُّورَ إِنَّمَا يَسْعَى إِذَا سَعَى صَاحبه وَإِلَّا لَانفصل عَنْهُ وَتَرَكَهُ، وَإِضَافَةُ (نُورِ) إِلَى ضَمِيرِهِمْ وَجَعْلُ مَكَانِهِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يُبَيِّنُ أَنَّهُ نُورٌ لِذَوَاتِهِمْ أُكْرِمُوا بِهِ "[4]، ولقد ذكر الضَّحاك معنى آخراً ذا صلةٍ وثيقة بما جاء في آية سورة التحريم، قال: " لَيْسَ لِأَحَدٍ إِلَّا يُعْطَى نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا انْتَهَوْا إِلَى الصِّرَاطِ طُفِئَ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْمُؤْمِنُونَ أَشْفَقُوا أَنْ يُطْفَأَ نُورُهُمْ كَمَا طُفِئ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالُوا: رَبَّنَا، أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا"[5].

والنبي ﷺ يعرفُ يومَ القيامة أمَّتَه المؤمنة بنورها، وبسيماها التي تظهر عليها من أثر الوضوء والسجود لله ﷻ، " عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا ذَرٍّ، وَأَبَا الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ فِي السُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيَّ فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، وَأَنْظُرُ عَنْ يَمِينِي فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، وَأَنْظُرُ عَنْ شِمَالِي فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تَعْرِفُ أُمَّتَكَ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ مَا بَيْنَ نُوحٍ إِلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: غُرٌّ مُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، وَلَا يَكَادُ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ غَيْرِهِمْ وَأَعْرِفُهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ

---

(1) [الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير/ باب تفسير سورة الحديد، 520/2: رقم الحديث 3785].

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج179/23).

(3) الرازي، مفاتيح الغيب (ج455/29-456).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج380/27).

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج15/8).

بِسِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، وَأَعْرِفُهُمْ بِنُورِهِمُ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ)"[1]؛ لذا من أراد من الناس أن يُعرفَ بنوره يوم القيامة، وأن يؤتَى كتابَه بيمينه، ويفخرَ به النبيُ ﷺ، فعليه أن يختارَ طريقَ الهدايةِ في سعيه كله، وأن يغتنمَ عمره بالأعمال الصالحات التي توصله إلى أرفع المقامات عند الله ﷻ، وأن يزهدَ في طلب الدنيا وألا يلهث وراء متاعها وشهواتها.

إذاً فإنَّ ملامح السعي الإنساني في الآخرة تختلف عنها في الدنيا، ففي الآخرة يرى الإنسان سعيه وأعماله التي كانت تُسجل عليه، فما من كبيرة ولا صغيرة إلا في كتاب مبين عند رب العالمين، وحينها يتذكر المرء سعيه، فالمؤمن يكون راضياً سعيداً بعمله للخير في الدنيا ويكون سعيه مشكورا يُجزى عليه خير الجزاء، والضال يتمنى لو يرجع إلى الدنيا فيصلح عمله، لكنَّ لا عودة إلى الدنيا مرة أخرى، فيُحاسب على عصيانه وضلاله.

فليتذكر أهل الدنيا أنَّهم سيُرجعون إلى ربِّهم ﷻ في الآخرة، فمن عمل صلحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها.

(1) [الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير/ باب تفسير سورة الحديد، 520/2: رقم الحديث 3785].

الفصل الثاني

ميادين السعي بين الهداية والضلال

الفصل الثاني

ميادين السعي بين الهداية والضلال

السعي في طريق الهداية محمود مشكور، والسعي في طريق الضلال مذموم آثم ساعيه، وهما طريقان لا يستويان؛ لذا فإنَّ لكل منهما ميادين يسلكها الساعي، وهذه الميادين إما أن تقوده إلى الفوز والفلاح، وإما أن تقوده إلى الخسران، بحسب ما اختار لنفسه وعمل، ولأنّه لابد من بيانها، فهذا الفصل بمبحثيه الآتيين يُسَلِّطُ الضوءَ عليها كما تحدث عنها القرآن الكريم.

المبحث الأول

السعي في طريق الهداية

الهدايةُ شرعُ اللهِ ﷻ ومنهاجُه، ورسالةُ أنبيائِه، وفطرةُ اللهِ ﷻ السليمة التي أودعها في خلقه مُذ وُلدوا، وطريقُ مَنْ عَرَفَ اللهَ ﷻ، فإنَّ مَنْ عرفَ اللهَ ﷻ وطريقَ هدايتِه، سلكَ كلَّ الدروبِ والميادينَ الموصلة إليها، وبيانُ هذه الميادين في ضوء القرآن الكريم، في مطالب هذا المبحث.

المطلب الأول: السعي إلى ذكر الله ﷻ

كُلُّ طاعة لله ﷻ من صلاة، وتلاوة قرآن، ودعاء، وطلب علم، واستغفار، وتسبيح، وتحميد، وتكبير، وتهليل، وغيرها تُعدُّ ذكراً لله ﷻ، يقول ابن القيم – رحمه الله– : " فذِكْره: جميع أنواع طاعته، فكل من كان في طاعته فهو ذاكره، وإن لم يتحرك لسانه بالذكر"(1)، ولقد جاءت آية سورة الجُمُعة بنداء المؤمنين بالسعي إلى ذِكر الله ﷻ الذي قُصد به في هذه الآية السعي إلى سماع خطبة صلاة الجمعة، وأداء الصلاة، يقول الله –جلَّ ثناؤه– : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الجمعة:9–10]، افتُتِحت الآية بنداء المؤمنين ليُهيئوا أنفسهم لما بعد هذا النداء، ويمتثلوا أمر الله ﷻ، فقد خاطبهم ربنا ﷻ بصفة الإيمان، فأمرهم بالسعي إلى ذكر الله – تعالى– إذا نادى المؤذن للصلاة من يوم الجمعة، وقد خُصَّ هذا اليوم بأنه خير يوم طلعت عليه الشمس، "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: (خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ)

---

(1) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (ج40/1).

"[1]، وقد بيَّنَ رسولنا الكريم ﷺ أجر من سعى إلى الصلاة يوم الجمعة ، "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (مَنِ اغْتَسَلَ؟ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَصَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَعَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، وَفَضْلُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ)"[2].

وذهب الإمام ابن كثير –رحمه الله– إلى أن المراد بقوله ﷻ: ﴿ **فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ** ﴾، أي: "اقْصِدُوا وَاعْمَدُوا وَاهْتَمُّوا فِي مَسيركم إِلَيْهَا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بالسعي هاهنا الْمَشْيُ السَّرِيعُ، وَإِنَّمَا هُوَ الِاهْتِمَامُ بِهَا"[3]، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿ **وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ** ﴾ [الإسراء: 19]، ولقد نهى النبي ﷺ عن المشي السريع إلى الصلاة، فقد جاء في الحديث الشريف "أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: (إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ)"[4]، وقَالَ الْحَسَنُ :" أَمَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالسَّعْيِ عَلَى الْأَقْدَامِ، وَلَقَدْ نُهُوا أَنْ يَأْتُوا الصَّلَاةَ إِلَّا وَعَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، وَلَكِنْ بِالْقُلُوبِ وَالنِّيَّةِ وَالْخُشُوعِ، وَقَالَ قَتَادَةُ يَعْنِي: أَنْ تَسْعَى بِقَلْبِكَ وَعَمَلِكَ، وَهُوَ الْمَشْيُ إِلَيْهَا"[5].

وبعد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالسعي إلى ذكر الله، أمرهم بترك البيع والتجارة إذا حضرت الصلاة، فالأمر بترك البيع مقيد بوقت الصلاة، حتى لا يكون للمرء أي شاغل يشغله عن ذكر ربه ﷻ، ثم أتبع الله ﷻ هذا الأمر بقوله: ﴿ **ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾، أي أنَّ سعيهم إلى ذكر الله وتركهم البيع وقت الصلاة، خير لهم عند ربهم، إن كانوا يعلمون أنَّ ما عند الله من الخير والثواب أبقى لهم وأفضل من متاع الدنيا الزائل، ثم أمرهم ربنا –جلَّ ثناؤه– بالانتشار في الأرض بعد انتهاء الصلاة؛ " لطلب المكاسب والتجارات ولمَّا كان الاشتغالُ في التجارة مظنة الغفلة عن ذكر الله ﷻ، أمر الله ﷻ بالإكثار من ذكره، فقال: ﴿ **وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ أي في حال قيامكم وقعودكم وعلى جنوبكم،﴿ **لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ فإن الإكثار من ذكر الله ﷻ أكبر أسباب الفلاح"[6].

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجمعة/ باب فضل يوم الجمعة، 585/2: رقم الحديث 854].

(2) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجمعة/ باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة، 587/2: رقم الحديث 857].

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج120/8).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي عن إتيانها سعي، 420/1: رقم الحديث 602].

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج120/8).

(6) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ج863/1).

ومن الواقع المرير الذي يحياه بعض المسلمين، وإن كنتُ أراهم ليسوا بقلة، أنهم يوم الجُمُعَة وقت الخطبة والصلاة، يزاولون أعمالهم وتجاراتهم، وكأنَّ أذانهم صُمَّت عن سماع منادي الله، وإن سألتَ أحدَهم عن ذلك، قال إنما هو وقت تحصيل الرزق، وقد غفل عن شيء عظيم، أنه بذلك فاتته الخطبة والصلاة، وفاتت كل من استفاد من عمله في وقت الصلاة، ونسيَ أن الله ﷻ هو الرزاق الذي يرزق عباده بغير حساب، ويبارك في رزق من كان طائعاً لله ﷻ مقدماً الصلاة والعبادة على كل متاع الحياة الدنيا، ومنهم من يجلس في الطرقات لاهياً، قد فَوَّت عليه تلبية نداء الله ﷻ والإنصات لذكره، والفوز بثوابه وفضله، ومنهم من ذهب متأخراً ودخل المسجد بعد أن أذن المؤذن للصلاة، هؤلاء جميعاً غفلوا عن حديث النبي ﷺ الذي يرويه "أبو هريرة ﷺ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ وَقَفَتِ المَلاَئِكَةُ عَلَى بَابِ المَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، وَمَثَلُ المُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ كَبْشًا، ثُمَّ دَجَاجَةً، ثُمَّ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ، وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ)"[(1)]، هذا الحديث يبين أنَّ الملائكة لا تكتب إلا من حضر المسجد قبل الأذان، فمن حضر بعد الأذان لم يُكتب اسمه؛ لأنه حضر بعد أن طوت الملائكة الصُّحف وجلست تستمع الذكر، وإن كانت ملائكة الله ﷻ تجلس تستمع الذكر فالأولى بالإنسان الذي كرمه الله ﷻ على جميع الخلائق، أن يكون أكثر حرصاً بالتبكير إلى المسجد والاستماع والإنصات إلى ذِكر الله –جلَّ ثناؤه–.

المطلب الثاني: السعي في عمل الصالحات

العملُ الصالحُ هو ترجمة لأقوال المؤمن، ولِنِيَتِه التي يعقدها في قلبه، فكل نية في القلب، وكل قول باللسان لابد أن يُصَدِّقَه عمل صالح، والأعمال الصالحة هي التي توافق شرع الله ﷻ كما جاءت في كتاب الله ﷻ، وسنة نبيه محمد ﷺ، وهذه الأعمال تُعدُ مفتاحاً لدخول الجنة، ولقد جاء أن الصالح هو: " الخالص من كل فساد "[(2)]، ولقد قرن الله ﷻ في كتابه الكريم بين الإيمان والعمل الصالح، فنجد دائما قوله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة:25] وإن كان هذا الأمر يدل على شيء فإنما يدل على أنه لا ينفع إيمان بدون عمل صالح، وأنه لا فائدة من العمل الصالح ما لم يكن الإنسان مؤمناً بالله ﷻ، والإيمان هو: " قَول بِاللِّسَانِ وتصديق بِالْقَلْبِ وَعمل بالجوارح يزِيد وَيَنْقص "[(3)] يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والعمل الصالح المقبول عند الله ﷻ هو: " مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَرَضِيَهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا يُحِبُّ مَا أَمَرَ

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجمعة/ باب الاستماع إلى الخطبة، 11/2، رقم الحديث 929].

(2) الجرجاني، التعريفات (ج131/1).

(3) العسقلاني، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ج44/1).

بِهِ وَمَا عُمِلَ لِوَجْهِهِ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ الْأَعْمَالِ فَإِنَّهُ لَا يُحِبُّهَا، بَلْ يَمْقُتُهَا وَيَمْقُتُ أَهْلَهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: 2]، قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ[1]: هُوَ أَخْلَصُ الْعَمَلِ وَأَصْوَبُهُ، فَسُئِلَ عَنْ مَعْنَى ذَلِكَ، فَقَالَ: إنَّ الْعَمَلَ إذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا فَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ :﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110] "[2].

قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [الأنبياء: 94]، يُبَيِّنُ اللهُ ﷻ في هذه الآيةِ الكريمة، أنَّ مَنْ " يعمل صالح الأعمال وقلبه مليء بالإيمان بربه، والتصديق لأنبيائه ورسله، واليقين باليوم الآخر يوم تُجزى كلُّ نفس بما عملت من خير أو شر، فإنا لا نضيع سَعْيَه ولا نبخسه حقَّه، بل نُوَفِّيه على عمله الجزاءَ الأوفى، وإنا مثبتونَ له ذلك في صحيفة أعمالِه، لا نتركُ منه شيئاً جلّ أو قل، عَظُمَ أو حَقُر"[3]، وذهب الإمام القرطبي إلى أنَّ (مِن) في قوله ﷻ ﴿ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ للتبعيض ، فقال: "(مِنَ) لِلتَّبْعِيضِ لَا لِلْجِنْسِ إِذْ لَا قُدْرَةَ لِلْمُكَلَّفِ أَنْ يَأْتِيَ بجميع الطاعات كلها فَرْضِهَا وَنَفْلِهَا، فَالْمَعْنَى: مَنْ يَعْمَلْ شَيْئًا مِنَ الطَّاعَاتِ فَرْضًا أَوْ نَفْلًا وَهُوَ مُوَحِّدٌ مُسْلِمٌ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ."[4]

ولمَّا رَغَبَّ اللهُ ﷻ عبادَه المؤمنين بالأعمال الصالحة، فإنَّه ذكر ﷻ في كتابه العظيم، وذكر نبيه المصطفى ﷺ هذه الأعمال في حديثه النبوي الشريف، ومنها ما ذكره الله ﷻ في مطلع سورة المؤمنون، من ذكر لأعمال المؤمنين الذين أثنى عليهم ربنا ﷻ بالفلاح ، فهمُ الذين يحافظون على صلاتهم ويؤدونها بخشوع، ويُعرضون عن اللغو والكلام الباطل، ويؤدون الزكاة كما أمرهم ربهم ﷻ ، ويحفظون فروجهم عن الحرام، والذين يؤدون الأمانات ويحفظون العهود، قال ﷻ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ *

---

(1) هو الفضيل بن عياض التميمي، ثم أحد بني يربوع، ويكنى أبا علي، ولد بخراسان بكورة أبيورد وقدم الكوفة وهو كبير فسمع الحديث من منصور بن المعتمر وغيره، ثم تعبد وانتقل إلى مكة فنزلها إلى أن مات بها في أول سنة سبع وثمانين ومائة في خلافة هارون، وكان ثقة ثبتاً فاضلاً عابداً ورعاً كثيرَ الحديث، انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج43/6).

(2) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج124/2).

(3) المراغي، تفسير المراغي (ج70/17).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج339/11).

وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون:1-9]، ومنها أيضا الإنفاق في سبيل الله ﷻ ابتغاء وجهه الكريم، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَاخَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَاهُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [البقرة: 274]، و حثَّ على بر الوالدين والإحسان إليهما، قال ﷻ: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ ﴾ [الأحقاف:15]، ورغبَّ أيضا في الإنفاق في سبيل الله في السراء والضراء، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، وأثنى على الذاكرين له، والمستغفرين الله لذنوبهم التي اقترفوها، وبيَّن أنَّ هؤلاء هم المتقون، يقول ربنا ﷻ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ * وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران:133-135]، والأعمال الصالحة في القرآن الكريم كثيرة، يستطيع المرء أن يمتثلها عند قراءته للقرآن الكريم وتدبر آياته.

وفي هَدْي النبي محمد – صلوات ربي وسلامه عليه – وسنتِه، أنَّه ذكر أجرَ الساعي لتحصيلِ نفقةِ الأرملةِ التي مات عنها زوجها، والمسكين الذي لا يملك المال الذي يسد به حاجته، " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ) "[1]، وذِكرُ هذا الأجر للحثِّ والترغيبِ لفعلِ مثل هذه الأعمال الصالحة، ومنها أيضا ما جاء في الحديث الذي يرويه " زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا) "[2].

وأمثلة الأعمال الصالحة تملأ كتاب الله ﷻ ويزخرُ بها، وكذلك سنة النبي ﷺ، فمن أراد الآخرة ونعيمها فليُشَمِّرَ عن ساعديه وينهل من هذين المنبعين اللذين لا ينضبان.

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب النفقات/ باب فضل النفقة على الأهل، 62/7: رقم الحديث 5353].

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير/ باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير، 27/4: رقم الحديث 2843].

المطلب الثالث: السعي والعمل مع الآباء

فطر اللهُ ﷻ الإنسانَ على حب الأبناء، وجعلهم زينةَ الحياة الدنيا، قال ﷻ :﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ [الكهف: 46]، وما من شيء يُسعد الآباءَ مثلَ بر أبنائهم بهم، ويدخل في برهم العمل والسعي معهم، وتقديم العون لهم في أمور حياتهم، ولقد ضرب الله ﷻ مثالاً على ذلك في كتابه الكريم، يتمثل في سعي سيدنا إسماعيل عليه السلام مع أبيه إبراهيم عليه السلام، ويظهر ذلك من خلال الآيات القرآنية.

قال – جل ثناؤه – : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: 102]، لقد تعددت معاني السعي في هذه الآية على اختلاف أقوال المفسرين، فقال بعضهم: هُوَ الْعَمَل مَعَه، كَأَنَّ إسماعيل عليه السلام صَار يُعين أباه إبراهيم عليه السلام فِي عمله، وَقيل: السعي إِلَى الْجَبَل، وَقيل المعنى هو: الْعِبَادَة لله تَعَالَى، ولا ضير من أن تجتمع هذا الأقوال جميعها في معنى السعي هنا، ويظهرُ جَلِياً طاعة إسماعيل عليه السلام لأمر الله تعالى، ومن ثم رؤيا أبيه إبراهيم عليه السلام، حينما رأى في المنام ما يدل على أمر الله ﷻ لإبراهيم عليه السلام بذبح ولده إسماعيل عليه السلام، ورؤيا الأنبياء – عليهم السلام– وحي، فما كان من إسماعيل عليه السلام سوى التسليم لأمر الله ﷻ والانقياد لما رآه أبوه عليه السلام، وأنه سيكون من الصابرين على حكم الله ﷻ بإذنه _ تعالى_ [1].

وآيات أخرى في كتاب الله ﷻ تبين سعي إسماعيل مع أبيه – عليهما السلام– ، حيث كان يسعى معه في بناء الكعبة، ورفع القواعد من البيت، حيث عهد الله –جلَّ ذكره– لهما بتطهير البيت الحرام للطائفين، والعاكفين، والرُّكع السجود، قال ﷻ: ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة:125]، وقال ﷻ: ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[البقرة: 127].

إنَّ في هذه الآيات دعوة لكل امرئٍ بأن يُبِرَ والديه، فالسعي معهما وإعانتهما في أمور حياتهما من البر بهما، ولاسيما من عقَّ والداه، لابُدَّ وأن يكون له هذا أنموذجاً وقدوة صالحة تأخذ بيده إلى طريق البر، وإلى طريق الهداية والصلاح، قال الله –تعالى– : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا

(1) انظر: أبو المظفر، تفسير القرآن (ج4/407–408).

﴿ تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾[الإسراء: 23]، وكُثر في هذا الزمان من أعرضوا عن والدِيْهم، وآثروا أنفسهم على آبائهم، وقدموا متاع الحياة الدنيا وإشباع رغباتهم على الإحسان لهما، فهؤلاء بحاجة إلى أن يرجعوا إلى رشدهم وإلى امتثال أمر الله ﷻ في كتابه الكريم، واتباع هَدْي نبيه ﷺ، "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ "أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي"[1]؟ قَالَ: (أُمُّكَ) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (ثُمَّ أَبُوكَ)"[2].

المطلب الرابع: السعي لطلب الهداية

السعي لأجل طلب الهداية خير سعي يسعاه المرء في حياته، فهو زاده للدار الآخرة، ومن أمثلة ذلك في السياق القرآني، قوله ﷻ: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ * وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ * أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ * أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ * فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ * وَهُوَ يَخۡشَىٰ * فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ * كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ * فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ * فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ * مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ * بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ *كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴾[عبس:1-16].

نزلت هذه الآيات المباركات من كتاب الله ﷻ عندما كان رسول الله ﷺ يُبلغ دعوة ربه ﷻ، وكان حريصاً ﷺ على تبليغها لسادة قريش وزعمائها؛ لِما في ذلك من أثر على عامة المشركين، فلَمَّا كان النبي ﷺ يدعو بعضاً من زعمائهم، جاءه ابن أم مكتوم ﷺ سالكاً طريق الهداية وطلب العلم في دين الله –تعالى– ، فعبس النبي ﷺ، وأعرض عنه، فنزلت هذه الآيات، " عَنْ عائشة –رضي الله عنها– قالت: أنزل ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ فِي ابن أم مكتوم الْأَعْمَى، أَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْشِدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ رِجَالٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الْآخَرِينَ، فَفِي هَذَا أُنْزِلَتْ ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ "[3].

يُخبر اللهُ ﷻ في مطلع السورة أن النبيَّ ﷺ عبس وجهه، وأعرَضَ لأن ابن أم مكتوم ﷺ جاءه وهو يعظُ سادةَ قريش، ثم يُخاطبُ اللهُ ﷻ النبيَّ ﷺ في شأن ما حصل قائلاً له: وما يدريك يا محمد لعلَّ هذا الأعمى يتطهرُ من ذنوبه بالإسلام، وقد جاءك يطلبُ منك أن ترشده

---

(1) المعنى: أولى الناس بمعروفي وبِري ومصاحبتي المقرونة بلين الجانب وطيب الخلق وحُسْن المعاشرة، انظر: [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب/ باب من أحق الناس بحسن الصحبة، 2/8: رقم الحديث 5971].

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب/باب من أحق الناس بحسن الصحبة، 2/8: رقم الحديث 5971].

(3)الواحدي، أسباب نزول القرآن (ص ص449-450).

إلى الإسلام، وأن تُعَلِّمَهُ ممَّا علَّمكَ اللهُ ﷻ، أو يَتَعظ فتنفعه الموعظة وتؤثر فيه تأثيراً حسناً، ثم يقول ربنا ﷻ مُعاتِباً لنَبيِّه ﷺ أما من أثرى من المال فإنَّك تقبلُ عليه وتتعرضُ له؛ لحرصك على إسلامه، و يا محمد أي شيءٍ عليك إن لم يسلمْ هذا الغني؟ إنما أنت عليك البلاغ لدين الله ﷻ، وإسلامهم وإيمانهم على الله ﷻ، ثم يقول الله –جلَّ ذكره– أما الأعمى الذي جاءك يسعى طالباً الهداية والرشاد، وهو يخشى الله –تعالى– فأنت تتلهى وتتشاغل عنه بدعوة أسياد القوم، ثم يُخاطبه اللهُ ﷻ بأسلوب زجرٍ كلا لا تفعل كما فعلت مع ابن أم مكتوم، إن آيات القرآن الكريم تذكير للخلق، فمن شاء ذكر القرآن، ثم بيَّنَ الله ﷻ أن القرآن الكريم محفوظٌ عنده في اللوح المحفوظ في صحف مكرمة رفيعة القدر، لا يَمَسُّها إلا المطهرون، بأيدي ملائكة كتبة كرام بررة [1].

إنَّ أمثالَ ابن أم مكتوم ﷺ كُثر، فكم شهدَ الدِّين لأكِفَّاء شقوا طريق الهداية والفلاح، فأنار الله ﷻ بصائرهم، ووصلوا إلى مرادهم، وتركوا لهم بصمات لا تُنسى في تاريخ هذا الدين العظيم، من أمثال هؤلاء: العالم عبدالعزيز بن باز، والداعية عبدالحميد كشك، و لانزال نرى أكِفَّاء من أساتذة، وطلبةَ علمٍ، حُرموا نعمةَ البصرِ، لكنهم عُوضوا بنعمة البصيرة، فسَعَوا سعياً حميداً؛ لأجل عزة هذا الدين وعُلُو شأنه، والفوز برضا الله –تعالى– والسداد في الدنيا، ثم الأجر العظيم الذي لا يَفْنَى في الآخرة، وإنما تحمل أيضاً هذه الآيات في طياتها عبرةً، وعظةً بليغةً، ودعوةً، لكل امرئٍ مَتَّعه اللهُ ﷻ بالنِّعم، وأكرمه بجميل الخِلْقَةِ وكمالِها، ثم هو يُعرضُ عن الله –تعالى– ويُهدر صحَتَه ومالَه ونعمَ الله ﷻ عليه في غير ما أمر الله –جلَّ ذكره–، فهي دعوة بأن يفيقوا من غفلتهم، وأن يعتبروا بهؤلاء الأكفاء الذين اختاروا طريق الله ﷻ فأنار بصيرتهم، وبارك خُطاهم، وهي دعوة أيضاً لكلِّ داعية إلى سبيل الله ﷻ، بألا ينشغل عن كل ساعٍ في طريق الخير، مهما كان وضعه الاجتماعي، أو مكانته العلمية، أو كمال الخِلْقَةِ أو نقصها، فعباد الله ﷻ سواسية في دين الله –تعالى–.

المطلب الخامس: السعي في تأييد رسل الله ﷻ

بعث الله ﷻ الرُّسُلَ إلى أقوامهم ليُبَلِّغُوا دينَ الله ﷻ، وكل الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام– بُعثوا بعقيدة واحدة، على اختلاف شرائعهم، بُعثوا بعقيدة التوحيد، وعبادة الله ﷻ إلهاً واحداً لا شريك له، وكما هو معلوم فقد كان لكل نبي أشخاصٌ مؤمنون بهم ومؤيدون لهم، وعلى النقيض كان لهم أعداءٌ غلاظٌ يَصُدُّون عن سبيل الله ﷻ، وهنا أقف مع ثلاثة مواضع من

(1) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص ص1173–1174) بتصرف.

كتاب الله –تعالى– تبين سعي أهل الإيمان، ووقوفهم في وجه أهل الباطل؛ من أجل تأييد رُسُلِ الله ﷻ.

قال الله ﷻ: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ * فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[القصص:14–21]، تتحدث هذه الآيات الكريمة عن سيدنا موسى عليه السلام، أنه لمَّا بلغ أشده من القوة والعقل، وهو نحو أربعين سنة تقريباً، وكملت فيه هذه الأمور، آتاه اللهُ ﷻ حُكماً يعرف به الأحكام الشرعية ، ويحكم به بين الناس، وعلماً كثيراً، جزاءً من الله ﷻ لسيدنا موسى عليه السلام؛ لإحسانه، وفي يوم من الأيام دخل المدينة وكان أهلها ربما في وقت القائلة، أو أي وقت يغفلون فيه عن الانتشار، فوجد رجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من القبط، فلما استغاث الذي من بني إسرائيل سيدَنا موسى عليه السلام على الرجل القبطي، وكزه موسى عليه السلام فقضى على هذا القبطي، فقال هذا الأمر من عمل الشيطان لأنه عدو مضل مبين، ثم تاب موسى عليه السلام وأناب إلى الله –تعالى– واستغفر لذنبه، فغفر له، ثم قال موسى عليه السلام مناجياً ربه ﷻ ربِّ بما أنعمت عليَّ من المغفرة والنِّعم الكثيرة فلن أكون سنداً ولن أكون معيناً للمجرمين، فأصبح في المدينة خائفاً من أن يبطشَ به الأقباط لِمَا حصل منه بالأمس، فوجد الرجلَ الذي استغاثه بالأمس يستصرخه ويستغيث به فقال له موسى عليه السلام: إنك بَيِّن الغواية ظاهر الجراءة، فلما أراد أن يبطشَ موسى عليه السلام بالذي هو عدو لهما، قال له القبطي، أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس؟ هل تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض تقتل النفس بغير وجه حق؟ وكان قد عَلِمَ فرعونُ والأقباطُ بمقتل ذلك الرجل من قومهم، عندما وكزه موسى عليه السلام، فتآمروا على قتله، حينها جاء رجلٌ مُسرِعاً من أقصى المدينة؛ ليُخْبِرَ موسى عليه السلام بما تآمر به فرعون وقومه، وقال إن الملأ يأتمرون ويتشاورون بك ليقتلوك، فاخرج من المدينة، إني لك من الناصحين، فاخرج قبل أن يصلوا إليك، فخرج موسى عليه السلام من المدينة خائفاً يترقب

أن يوقعَ به فرعونُ وقومه ما تآمروا عليه، داعياً الله ﷻ أن ينجيَه من القوم الظالمين فنجَّاه اللهُ –تبارك وتعالى– ؛ لأن القتل وقع منه خطأً وليس عمداً، وأنه تاب واستغفر ربَّه فغفر له [1]، وهنا يظهر جَلِّيا مدى خوف هذا الرجل على سيدنا موسى ﷺ، وسعيه لنصرته، فقد جاءه من مكان بعيد لينصَحَ له، ويُحذره من القوم الظالمين.

والموضع الآخر أيضا مع سيدنا موسى ﷺ وقومه، كما جاء في سورة غافر، قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ * وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ * وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ * يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ * وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ * وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[غافر:26–33]، الآيات التي تسبق هذه، يبين الله –تبارك وتعالى– فيها أنه أرسل سيدنا موسى ﷺ إلى فرعون ملك القبط في الديار المصرية، ووزيره هامان، وأكثر الناس مالاً وتجارة وهو قارون، وإلى قومهم أجمعين، وأن الله ﷻ أرسَلَهُ إليهم بالدليل والحجة والبرهان الصادق الدال على أنه رسول من رب العالمين، فما كان من فرعون إلا أن أمر بإذلال قوم موسى ﷺ واستحياء النساء، ثم تجبَّر وعتَى عُتُوا كبيراً، فقال دعوني أقتل موسى، وليدع ربه بما يشاء، وهذا فيه قمة الجحود، والعناد، وأظهر فرعون لقومه أنَّه يخاف من موسى أن يُبَدِّل دين قومه، وأن يُظهر وينشر في الأرض الفساد، وكأنَّ الموازين انقلبت رأساً على عقب، وأصبح فرعون هو على الدين الحق، ولمَّا قال فرعون مقولته هذه، استعاذ موسى ﷺ بربه ورب هؤلاء القوم أجمعين، وهو الله ﷻ، استعاذ واستجار من كل مجرم متكبر عن الحق، لا يؤمن بيوم الحساب والعرض على الله –تعالى–، وخرج من قوم فرعون رجلٌ مؤمنٌ بالله وكان يكتمُ إيمانه، جاء نُصرة لدين الله –جلَّ ثناؤه– ونصرة لنبيه ﷺ، رجلٌ قويٌ مؤمن إيماناً صادقاً جعله يقف في وجه الطاغية المتجبر ويقول أتقتلون رجلاً لأنه يقول ربي الله، وقد جاء بالبينات من ربه، وجاء بالبراهين الدالة على صدقه، وإن يكن هذا

---

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ج613/1)، بتصرف.

الرجل كاذباً سيَظهر أمره ويكون وبالاً عليه، وإن يكن صادقاً وكذبتموه سيصيبكم إذاً بعض الذي يعدكم به من ربه ﷻ، فاتركوه وشانه، ودعوه يدعو قومه، ولو كان من الكذابين لَمَا هداه الله – تعالى – وأرشده من انتظام أمره وفعله، وأكمل هذا الرجل المؤمن موعظته لقومه خوفاً عليهم من عذاب الله إن استمروا في كفرهم، بأنه لن ينصرَهم أحدٌ، ولن يمنع أحدٌ منهم عذابَ الله –تعالى– وبأسَه إن حلَّ بهم، وعليهم أن يُحافظوا على نعمِ الله التي أنعم بها عليهم من الملك والظهور في الأرض بالكلمة النافذة والجاه العريض، فما كان رد فرعون الطاغية المتفرد برأيه، إلا أن قال ما أريكم إلا ما أراه لنفسي، وما أرشدكم إلا لطريق الصواب والسداد والرشاد، ومعلوم أنَّ فرعون كاذبٌ في مقولته هذه، وأنه في قرارة نفسه يعلم من المُحق الذي يجب أن يُتبعَ، ثم أكمل هذا الرجل المؤمن نصيحته لقومه، وأنه يخاف عليهم أن يصيبهم ما أصاب الأحزاب من قبلهم من العذاب كقوم نوح وعاد وثمود، والذين من بعدهم ممن كذَّب، أهلكهم الله ﷻ بسبب ذنوبهم واستكبارهم في الأرض فلم يَرُد أحدٌ عنهم عذابَ اللهِ –تعالى –، وكان يناديهم بـ "يا قوم" للتحبب والتودد إليهم، قال إني أخاف عليكم يوم القيامة يوم تولون هاربين مالكم من الله من عاصم يعصمكم ويمنعكم من عذاب الله ﷻ، ومن أضله الله – تعالى– فلا هاديَ له سواه ﷻ [1].

أما الموضع الثالث فمن سورة يس، قال الله ﷻ: ﴿ **وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ * ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ * إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ * قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ** ﴾[يس:20–27]، تبين الآيات السابقة لهذه الآيات أنَّ الله ﷻ أرسل رسلاً إلى الناس؛ ليدعوهم إلى عبادة الله – تعالى – وحده لا شريك له، فما كان من هؤلاء القوم سوى التكذيب لِرُسُلِ الله ﷺ، حتى همَّ أهلُ القرية بقتل الرُّسُل، فجاء لهؤلاء الرسل – عليهم السلام – رجلٌ من أقصى المدينة يسعى لينصُرَ الرُّسُلَ على قومهم _ وقد تعددت الأقوال فيه، ولكن كلها اتفقت على أن اسمه حبيب، وتفصيل القول فيه، مما لا فائدة من معرفته –، فقال للقوم متودداً متَحَبِباً لهم، يا قوم اتبعوا هؤلاء المرسلين، الذين لا يسألونكم أجراً مقابل نصحهم لكم، وهم مهتدون متبعون لما يدعونكم إليه من عبادة الله ﷻ، ثم قال لهم: وما يمنعني من أن أعبدَ اللهَ الذي خلقني وأن أُخلِصَ له العبادة، وإليه ترجعون

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج7/ 139–143)، بتصرف.

يوم القيامة، يوم الميعاد، والحساب، وحينها لن ينفعنا شيء سوى أعمالنا إن كانت خيراً، أما إن كانت شراً نبوء بالخسران، ثم خاطبهم بأسلوب توبيخ وتقريع وإنكار أأتخذُ من دون الله – تعالى – آلهة، لو أرادني الله بِضُرٍ لن تستطيع هذه الآلهة من كشف الضر عني، ولن تستطيع إنقاذي مما أنا فيه؛ لأن لا أحد يقدر على ذلك سوى الله ﷻ، وإني لفي ضلال واضح مبين إن اتخذت من دون الله – تبارك وتعالى – آلهة أخرى، ولما قال ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾ فالخطاب هنا إما أن يكون موجهاً للرُّسل ليشهدوا له عند الله ﷻ أنَّه آمن بالله ﷻ، ولِيَشهدوا له بما يقول، وإما أن يكون الخطاب موجهاً إلى القوم، أي: إني آمنتُ بربِكم الذي كفرتم به، فاسمعوا قولي، ثم كان عاقبة هذا الرجل المؤمن أنَّ قومه قتلوه، ولم يمنع أحدٌ القومَ من قتله، ثم قال الله ﷻ: قيل ادخل الجنة ثواباً له على إيمانه وعمله الصالح، فلمَّا رأى النعيم قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي، وجعلني من المكرَمِيْن[1].

ما أحوجنا في هذا الزمان إلى كَثْرَةٍ ممن ينصرون دينَ الله –تعالى– ، فهم قلة أولئك الذين يثبتون على الحق، فنحن في زمان أصبح فيه أهل العلم وأهل الدين يقولون في دين الله ﷻ كما يُملي عليهم حُكامهم وسلاطينهم، الذين ضلُّوا عن الدين القويم، فهم ليسوا بأهل علم ولا أهل دين في الحقيقة، إنما هم أهل إفتاء لحُكَّامهم بما يُرضي أهواءهم ومصالحهم؛ لكنَّ الله ﷻ سيُسَخِّرُ لهذا الدين حتى قيامِ الساعة من يرفع رايته، ويمحق الباطل، كما سَخَّرَ هؤلاء الرجال لنصرة دينِه، ونصرة رُسُلِهِ – عليهم الصلاة والسلام_.

خلاصة القول في هذا المبحث أنَّ من أراد أن يسلك طريق الهداية فسيجد سبل الخير واسعة لا حصر لها، وسيجد أن الأجور عليها كبيرة ومضاعفة، فمن الأعمال الصالحات: السعي إلى ذكر الله سواء بالسعي إلى الصلاة أو مجالس الذكر وتلاوة القرآن، أو مجالس طلب العلم، والسعي والعمل مع الآباء وبرهما وطاعة أمرهما ما لم يكن في معصية الله –تعالى–، والسعي لسلوك كل درب فيه خير وصلاح وطلب هداية ورشد، وكذا السعي إلى تأييد رسل الله ﷻ وتأييدهم في تبليغ دعوة الله ﷻ وصد المكذبين والكافرين الذين يريدون بهم السوء، ويدخل في ذلك تأييد الدعاة إلى دين الله ﷻ في كل زمان ومكان فهم يسيرون على نهج الأنبياء –عليهم السلام– ويبلغون دعوة الله ﷻ كما بلغها النبي محمد ﷺ.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج6/570–571)، بتصرف.

المبحث الثاني

السعي في طريق الضلال

منذ أن استكبر إبليس، وأبى أن يسجد لأبينا آدم عليه السلام وهناك معركة وصراع بين أهل الهدى وأهل الضلال، والحق والباطل، يُصارعُ الطغاةُ العصاةُ الحقَّ وأهلَه، ويَشْرَعُون في استخدام كافة الوسائل للصَّدِّ عن دين الله جل جلاله، كيف لا وقد أخذ إبليسُ اللعينُ عهداً على نفسه أن يُغويَ عباد الله –تعالى– حتى قيام الساعة، عدا عباد الله المُخْلَصِيْن ، قال الله –جلَّ ذكره– في محكم التنزيل: ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ * وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾[ص: 77–83]، والناظرُ المتأملُ في كتابِ اللهِ سبحانه وتعالى يرى أساليبَ عديدةً يسعى فيها العصاةُ الضالون المنقادون لحزب الشيطان لرفع رايةِ الباطلِ، وطمسِ رايةِ الحقِّ، ولكن يأبى الله عز وجل إلا أن يُتمَّ نورَه، ويُظهرَ الحقَّ على الباطلِ، فلا رايةَ تعلو رايةَ الحقِّ، وفي هذا المبحث أتناول آيات القرآن العظيم التي تحدثت عن سعي أهل الضلال، من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: السعي في خراب مساجد الله تعالى

إنَّ أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة هو بناء المسجد النبوي، فكان البذرةَ الأساسيةَ والدعامةَ الأولى التي تؤسسُ المسلمينَ تأسيساً قوياً صحيحاً على الشكلِ الذي يُحِبُّهُ اللهُ سبحانه وتعالى ويرتضيه، فالمسجد " لم يكن موضعاً لأداء الصلوات فحسب، بل كان جامعةً يتلقَّى فيها المسلمون تعاليمَ الإسلامِ وتوجيهاَتَه، ومنتدىً تلتقي وتتآلف فيه العناصُر القِبَلِيَّةُ المختلفةُ، التي طالما نافرت بينها النزعاتُ الجاهليةُ وحروبُها، وقاعدةً لإدارةِ جميعِ الشئونِ وبثِ الانطلاقاتِ، وبرلماناً لعقدِ المجالسِ الاستشاريةِ والتنفيذية"[(1)]، ومن هذا المنطلق فإنَّه لابُدَّ لكل امرئ مسلم ومؤمن أن يُحافظَ على مساجدَ اللهِ عز وجل وعمارتِها بالعبادةِ والطاعةِ والذكرِ لله جل جلاله، لكنَّ الأمة المسلمة قد ابتُليت بأعداء لهذا الدين خَرَّبُوا المساجد، ومنعوا فيها الذكر والعبادة، ولقد ذكر الله عز وجل ذلك في كتابه الكريم، وذمَّ فعلهم هذا، وذكر جزاءهم وعقابهم في الدنيا والآخرة، قال الله جل جلاله: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [البقرة:114]،

---

(1) المباركفوري، الرحيق المختوم (ص 138).

ابتُدِئَتْ هذه الآية الكريمة بأسلوب استفهام فيه " إنكار واستبعاد لأن يكون أحد أظلم ممن فعل ذلك "[1]، وأنّه " أي امرئ أشد تعدياً وجراءةً على اللهِ وخلافاً لأمرِه، مِن امرئٍ منعَ مساجدَ اللهِ أنْ يُعبدَ اللهُ فِيْهَا "[2].

وتعددت الأقوال فيمن هو المقصود في هذه الآية، على الوجه الآتي:

القول الأول: "قال مجاهد ﷺ: هم النَّصَارى، كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى، ويمنعون النَّاس أن يُصَلُّوا فيه"[3]، و"قال قتادة: هو بُخْتَنَصَّر وأصحابه، خرَّبَ بيتَ المَقْدِسِ، وأعَانَهُ عَلَى ذلك النَّصَارَى"[4]، و"قال السُّديّ[5]: الروم، كانوا ظاهروا بختنصر على خراب بيت المقدس، حتى خربه، وأمر به أن تطرح فيه الجيف، وإنما أعانه الروم على خرابه، من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا"[6]، وقيل: " نزلت فِي طَيْطُوسَ بْنِ إِسْبِيسَبَانُوسَ الرُّومِيِّ وأصحابه، وذلك أَنَّهم غَزَوْا بَنِي إِسْرَائِيلَ فقتلوا مُقَاتِلَتَهُمْ وَسَبَوْا ذراريهِمْ، وَحَرَّقُوا التَّوراةَ وَخَرَّبُوا بَيْتَ المقدِسِ، وَقَذَفُوا فيه الْجِيَفَ وَذَبَحُوا فيه الْخَنَازِيرَ، فكان خراباً إلى أن بناهُ المسلمونَ في أَيَّامِ عمرَ بنِ الْخَطَّابِ ﷺ"[7].

القول الثاني: "قَالَ ابن زيد[8]: هؤلاء المشركونَ الذين حَالُوا بين رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يوْمَ الحديبيةِ، وبين أن يَدْخُلُوا مكةَ حتى نحرَ هَدْيَهُ بِذِي طُوَى وَهَادَنَهُمْ، وقال لهم: ما كان أحدٌ يَصُد عن هذا

---

(1) القاسمي، محاسن التأويل (ج378/1).

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج519/2).

(3) المخزومي، تفسير مجاهد (ص 212).

(4) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج521/2).

(5) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، أبو محمد: مفسر كبير، محدث، ومؤلف في المغازي والسير، حجازي الأصل، عاش في الكوفة، روى عن أنس بن مالك وابن عباس وغيرهما. وقد جرحت روايته لأنه حصل عليها عن طريق المناولة، وروى له مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه، ورمي بالتشيع، له تفسير كبير، وقد استخدمه الطبري بالرواية الآتية: حدثني موسى بن هارون الهمداني قال: حدثنا عمرو بن حماد الفناد قال: حدثنا أسباط بن نصر الهمداني عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، انظر: نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر (ج90/1).

(6) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج521/2).

(7) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي (ج138/1).

(8) ابن زيد: هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب ﷺ، توفي بالمدينة في أول خلافة هارون، انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج484/5).

البيتِ، وقد كان الرَّجلُ يَلْقَى قَاتِلَ أَبِيهِ وَأَخِيهِ فَلَا يَصُدُّهُ، فقالوا: لا يدخلُ علينا مَنْ قَتَلَ آبَاءَنَا يومَ بدرٍ وَفِينَا بَاقٍ، وقال ابن عباس: أَنَّ قريشًا منعوا النَّبِيَّ ﷺ الصلاةَ عِنْدَ الكعبةِ في المسجدِ الحرامِ، فأنزلَ اللَّهُ الآية"[1].

الترجيح:

رجَّح الإمامُ الطبريّ، أنَّ المقصوَد همُ النَّصارى، وذلك أنَّهم همُ الذينَ سَعَوْا في خرابِ بيتِ المقدِسِ، وَأَعَانُوا بُخْتَنَصَّر على ذلك، ومَنَعُوا مُؤْمِنِي بني إسرائيلَ مِنَ الصَّلاةِ فيه بعدَ منصرَفِ بُخْتَنَصَّر عنهم إلى بِلَادِهِ، ودليله في ذلك أنَّ اللهَ ﷻ إنما عَنَىَ هُنَا بالمَسَاجِدِ، إحْدَى المَسْجِدَيْن، مسجِدِ بيتِ المَقْدِسِ، والمسجدِ الحرامِ، أمَّا النَّصَارَى فَقَد خرَّبُوا بيتَ المقدسِ، وأعانوا بُخْتَنَصَّر على منعِ اليهودِ من الصلاةِ فيه، أمَّا المسجدِ الحرامِ فإنّ المشركين لم يُخَرِّبُوه، حتى وإن كانوا قد مَنَعُوا النَّبِيّ ﷺ منه بعض الأحيان، إلا أنهم هم الذين بنوا البيت ، وكانوا يفاخِرون بذلك العمل، وإن كانوا عملوا فيه بعض الأفعال التي لم تكن على الوجه الذي يرضى عنه ربنا ﷻ، وذهب أيضاً إلى أنَّ الذين وصفهم الله ﷻ بالسعي بتخريب مساجده، غير الذين وصفهم بعمارتها، إضافة لذلك أن هناك مناسبة بين الآيات، فإنَّ الآية التي تسبق هذه الآية كان الحديث فيها عن اليهود والنصارى وأفعالهم المذمومة، والآية التي تليها فيها ذم لفعل النصارى، في حين أن مشركي العرب، والمسجد الحرام لم يُذكروا قبل هذه الآية[2].

أمَّا الإمام ابن كثير فقد رجح القول الثاني بأنهم مشركو العرب، المتمثل بقولي ابن زيد، وابن عباس –رضي الله عنهما– مبيناً رأيه، ومعلقاً على ترجيح الإمام الطبري، ودليل الإمام ابن كثير فيما ذهب إليه، من عدة أوجه، الأول: أنَّه لو كان المقصود النَّصارى وأنهم منعوا اليهود من بيت المقدس لفُهِمَ أنهم أقوم ديناً من اليهود ، وكانوا أقرب منهم، ومن المعلوم أن اليهود كانوا في ذلك الوقت ذكرهم لله –تعالى– غير مقبول منهم، لأنهم لعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم– عليهما السلام– وذلك لعصيانهم واعتداءاتهم المستمرة، أما الوجه الثاني: فقد ذكر أنَّ الله ﷻ شرع في ذم المشركين، ومنعهم المسلمين من المسجد الحرام، في الآيات السابقة لهذه الآية، والوجه الأخير: وهو في ذلك معلقاً على ترجيح الإمام الطبري، حيث يقول: إنَّ المشركينَ قد أخرجوا النبي ﷺ من بلده مكة هو ومن معه من المهاجرين، واستحوذوا عليها بأصنامهم وشركهم وأندادهم، ومنعوه عام الحديبية من أن يعتمر بالبيت الحرام هو ومن خرج معه من

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج388/1).

(2) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج521/2–522).

المؤمنين، فإنهم بذلك سعوا في تخريب بيت الله الحرام، بأن منعوا المسلمين من أداء العبادة لله ﷻ، وذكر الله فيه، إذ إنَّ عمارة بيوت الله تتمثل بإقامة ذِكر الله –جلَّ وعلا– فيها، وأداء النسك والعبادات على الوجه الذي يرتضيه ربنا ﷻ، وتطهيرها من الشرك والدنس والكفر، وليس عمارتها بزخرفتها وزينتها وإقامة صورتها فقط [1]، يقول ربُّنا –تبارك وتعالى– : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ۝ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[التوبة:17-18].

وبعد هذه الأقوال والترجيحات، أرجح ما رجّحه الإمام ابن كثير، لاسيما أنَّ هناك أمراً يتعلق بأحداث أسباب النزول، يدعنا نسلم بالقول الثاني، وهو أنَّ: " أحداث أسباب النزول هي ما كانت في عهد سيدنا رسول الله ﷺ بعد البعثة، أمَّا الأحداث التي تحدثت عن عهود الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– أو قبل بعثته كحادثة الفيل فلا تُعد من أسباب النزول "[2]، فلا ينطبق على هذا الشرط إلا ما كان يفعله مشركو العرب من منع النبي ﷺ وأصحابه، من أداء العبادة في البيت الحرام.

وأمَّا قوله ﷻ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ ﴾ فالمعنى فيها مرتبط ارتباطا وثيقاً بحسب معنى مطلع الآية ومعرفة سبب نزولها، ذهب الإمام الطبري إلى أن قوله ﷻ فيه خبر من الله ﷻ أن كل من سعى في خراب مساجد الله، ومنع أن يُذكرَ فيها الله –جلَّ ذكره– فقد حرَّم اللهُ –تبارك وتعالى– عليهم أن يدخلوا هذه المساجد إلا وهم على خوف من العقوبة على دخولها، ما داموا على مناصبة الحرب[3]، فقد "قال قتادة: وهم النَّصارى، فلا يدخلون المسجدَ إلا مسارقةً، إنْ قُدِرَ عليهم عُوْقِبُوا، وقال: وهمُ اليومَ كذلك، لا يوجدُ نصرانيٌّ في بيتِ المقدسِ إلا نُهِكَ ضَرْباً، وأُبْلِغَ إليه في العُقُوبةِ، وقال السُّديّ: فليس في الأرضِ رُوْميٌّ يدخُلُها اليومَ إلا وهو خائفٌ أنْ تُضربَ عُنُقَه، أو قد أُخِيفَ بأداءِ الجزيةِ، فَهوَ يُؤدِيْهَا"[4]، وقال الإمام ابن كثير: "هذا خبرٌ معناهُ الطَّلبُ، أيْ: لَا تمكِّنوا هؤلاء –إذا قدرتم عليهم–منْ دخولِهَا إِلَّا تحتَ الهدنةِ والجزيةِ، ولهذا لَمَّا فَتَحَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ أمرَ مِنَ العامِ القابِلِ في سنةِ تِسْعٍ أَنْ يُنَادَى برحابِ مِنًى: (أَلَّا يَحُجَّن بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَنَّ بِالْبَيْتِ عُريان، وَمَنْ كَانَ لَهُ أَجْلٌ

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج388/1).

(2) عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن (ج310/1).

(3) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج523/2).

(4) المرجع السابق، ج523/2-525.

فَأَجَلُهُ إِلَى مُدَّتِهِ)، وهذا كان تصديقًا وعملًا بقولهِ تعالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ ﴾[التوبة: 28]، وقال بعضهم: ما كان ينبغي لهم أن يدخُلُوا مساجدَ اللَّهِ إلا خائفينَ على حال التَّهيُّب، وارتعادِ الفرائصِ مِنَ المؤمنينَ أنْ يبطشُوا بهمْ، فَضْلًا أنْ يَسْتَوْلُوا عليها ويمنعُوا المؤمنينَ منها، والمعنى: ما كان الحقُّ والواجبُ إلا ذلكَ، لولا ظلمُ الكفرةِ وغيرِهِم"[1]، وقيل: "هذا بشارةٌ منَ اللهِ للمسلمينَ بأنَّه سيُظهرهمْ على المسجدِ الحرامِ، ويذلّ لهمُ المشركينَ، حَتى لا يدخلَ المسجدَ الحرامَ واحِّد منهمْ إلا خائفاً، يخافُ أن يؤخذَ فَيُعَاقَب، أو يُقتل إنْ لم يُسلم، وقد أنجزَ اللهُ صدقَ هذا الوعدِ فَمنعَهُم من دخولِ المسجدِ الحرامِ، ونادَى فيهم عامَ حجِّ أبو بكرٍ ﷺ (ألا لا يَحُجَّنَّ بعد العام مشرك)، فحجَّ النبيُ ﷺ من العام الثاني ظاهراً على المسجدِ الحرامِ، لا يجترئ أحدٌ منَ المشركينَ أنْ يحجَّ ويدخلَ المسجدَ الحرام"[2].

ويدخل هنا معنى جديد آخر، وهو أنَّ هؤلاء الذين يُخَرِّبون مساجدَ اللهِ ﷻ يكونون في حالةِ خَوْفٍ ووجلٍ وهم يقومون بجريمتهم هذه؛ لأنَّهم ضعاف الإيمان بالله تعالى، بل لا يؤمنون بالله ﷻ، ولأنهم يُحاربون أهل الإيمان الذين يستمدون قوتهم من الله –تباركَ وتعالى– ذي القوة التي لا تُرام.

إنَّنا إذا ما أسقطنا هذه الآية على الواقع، نجدها لا تقتصر على من نزلت فيهم فحسب، فتندرج تحت ما كان فيه سبب نزول والحكم عامًّا، فيدخل فيها كل من منع مساجد الله أن يُذكرَ فيه اسمه وكُلُّ مَنْ سعى في خرابها، في أي زمن من الأزمان، وعلى يد أي عدو سواء كان على غير دين الإسلام، أو من المسلمين فقط بالهوية التي يحملونها، لكنهم بالاعتقاد والفكر والقول والعمل أعداء لهذا الدين.

وينطبق على ذلك ما أصدر في الأيام القليلة المنصرمة من قانونٍ من المحتلين الصهاينة المغتصبين بمنع رفع الأذان بمكبرات الصوت في مساجد القدس والمناطق القريبة من المستوطنات وداخل الخط الأخضر[3]، وهذا القانون بدوره يمنح الشرطة الإسرائيلية صلاحية استدعاء مؤذنين واتخاذ إجراءات جنائية بحقهم وفرض غرامات مالية عليهم؛ وكل ذلك بدعوى أن عدة شكاوى صدرت من السكان على اختلاف أديانهم من الضجيج والمعاناة التي

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج389/1).

(2) القاسمي، محاسن التأويل (ج379/1).

(3) الخط الأخضر: هو الخط الفاصل بين الأراضي المحتلة عام 1948م، والأراضي المحتلة عام 1967م، انظر: الجزيرة نت. الموسوعة، ووثائق وأحداث: الخط الأخضر. (موقع إلكتروني).

يعيشونها[1]، لكنَّ الله –تعالى– انتقم منهم فقد شاهدنا اشتعال النيران في أراضينا الفلسطينية المغتصبة وقد استمرت عدة أيام مما أدى إلى خسائر مادية ليست بالبسيطة ألمَّت بهم، خابوا وخابت قراراتهم.

المطلب الثاني: السعي في الأرض بالفساد

ذكر القرآنُ الكريمُ صنفاً آخرَ من أولئك الذين يسعون في الضلال، أولئك الذين يكيدون للإسلام كيداً عظيماً، يُبطنون الكُفرَ، ويُظهرون الإسلامَ، وحُلْوَ الكلام، ويقسمون أنهم يبطنون نفس ما يظهر منهم، هؤلاء المنافقون لابُدَّ وأن يكشف اللهُ ﷻ أمرَهُم، وسُوْءَ طَوِيتِهِم.

قال الله ﷻ: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ** ﴾[البقرة:204–206]، "قَالَ السُّدِّيُّ نَزَلَتْ فِي الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ الثَّقَفِيِّ[2]، وَهُوَ حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ أَقْبَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَظْهَرَ لَهُ الْإِسْلَامَ وَأَعْجَبَ النَّبِيَّ ﷺ ذَلِكَ مِنْهُ، وَقَالَ: إِنَّمَا جِئْتُ أُرِيدُ الْإِسْلَامَ، وَاللَّهُ يعلم إني صادق، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ **وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ** ﴾ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَرَّ بِزَرْعٍ لِقَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحُمُرٍ فَأَحْرَقَ الزَّرْعَ وَعَقَرَ الْحُمُرَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿ **وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ** ﴾ "[3].

بدأت هذه الآيات بخطابٍ من الله ﷻ للنبي ﷺ، ويصحُ كذلِكَ أنْ يكونَ موجهاً لكل مسلمٍ، من باب التنبيه والتحذير من هذا الصنف من الناس، الذين يُظهرون الكلامَ المنمقَ الجميلَ العذبَ، وينصحون للمسلمين، ويُبدُونَ مَحَبَّتَهم لهم، وخوفَهم عليهم، حتى إنَّ النبيَّ ﷺ والمسلمينَ يُعجبهم هذا القول ويصدقوه؛ لجماله كما يظهر لهم، ولبيان شدة حرصهم على الإسلام والمسلمين، وهذا القول هو في الحياة الدنيا، فإمَّا أن يكون قولاً في أمور الحياة الدنيا

---

(1) انظر: الجزيرة نت. قرار منع الآذان في القدس. (موقع إلكتروني).

(2) هو الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ وَاسْمُهُ أُبَيُّ بْنُ شَرِيقِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَهْبِ بْنِ عِلَاجٍ، وَاسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ غَيْرَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ ثَقِيفٍ حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ، وَكَانَ اسْمُهُ أُبَيًّا. فَلَمَّا أَشَارَ عَلَى بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ بِالرُّجُوعِ إِلَى مَكَّةَ حِينَ تَوَجَّهُوا بِالنَّفِيرِ إِلَى بَدْرٍ لِيَمْنَعُوا الْعِيرَ فَقَبِلُوا مِنْهُ فَرَجَعُوا، فَقِيلَ خَنَسَ بِهِمْ، فَسُمِّيَ الْأَخْنَسَ يَوْمَئِذٍ، وَأَسْلَمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُنَيْنًا، وَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، تُوُفِّيَ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؓ، وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ شَيْءٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، انظر: البغدادي، الجزء المتمم لطبقات ابن سعد (ص 293).

(3) الواحدي، أسباب نزول القرآن (ج65/1).

دون الآخرة، وإمَّا أن يكون هذا القول الجميل العذب الودود المنمق في دار الدنيا فقط يُعجبهم، دون الدار الآخرة؛ لأنهم في الآخرة يُكشفُ أمرهم، ويُرفعُ الستار عنهم، فيُعرفُ أنهم منافقون، وبيَّن ربُّنا ﷻ أنَّ هؤلاء يزيدون على قولهم بأنّهم يحلفون ويُقسمون بالله ﷻ أن ما يستقر في قلوبهم من الاعتقاد نفس ما يتكلمون به، وأنَّ ما في قلوبهم وما هو على ألسنتهم، يتطابقان تطابقاً لا تنافُرَ بينهما، لكن الله –تباركَ وتعالَى– يُخبر بأن هؤلاء في الحقيقة شديدو الخصومة والعداء للمسلمين، فالله ﷻ يعلم ما تكن صدورهم وما يستقر في قلوبهم، فهم يبطنون الكفرَ والكيدَ والمكرَ للمسلمين، ويظهرون لهم خلافَ ذلك، ثم إنَّ مَنْ هو حاله كذلك إذا تَوَلَّى أي انصرف من عند النبي ﷺ والمسلمينَ سعى وسار في الأرض ليفسدَ كل صالح فيها، ويُخرِّبَها بدلاً مِنْ أنْ يُعمِّرَها ويبنيها، وقوله ﷻ في الأرض " يفيد العموم أي إنهم في أي مكان يحلون فيه يفسدون"[1]، وهذا المعنى يتفق مع سبب النزول، بأنَّ الأخنس بعدما خرج من عندِ النبيّ ﷺ مرَّ بزرع وحُمر لقوم من المسلمين، فأحرقَ الزرعَ، وعقرَ الحُمُر، وقيل: ممكن أن يأتي معنى تَوَلَّى بأنْ صار والياً ورئيساً، فإنَّ المنافقَ إذا صار والياً وزعيماً ورئيساً عاث في الأرض الفساد، وظَلَمَ وتَجَبَّر ومَكَرَ، فكل من يَتَّبِعُهُ يُجاريه في الفساد، لذلك ذهب البعضُ إلى أنَّ الأخنس كان حليفاً ومواليًاً لبني زُهرة، وكان بينه وبين قومه ثقيف عداوة فَبَيَّتَهُم ليلاً فأحرق زرعهم، وقتل مواشيهم، فنزلت فيه هذه الآية، على الرغم من أن قومه ليسوا بمؤمنين، إلا أنه كاد لهم، وغدر بهم، وأفسد حياتهم، والحرث هو الزرع، والنسل أطفال الحيوان، فيكون بذلك أهلك وأفسد ما فيه قوام الناس، وهما الحرث والنسل، والبعض يرى أنَّ "المراد بالحرث النساء كما في قوله: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾[البقرة: 223] وبالنسل الأولاد، فيكون المراد: إنَّ المفسدينَ الذين يطمحونَ بأبصارهم إلى نساءِ النَّاس أو يسعون في إفسادِ نظامِ البيوتِ بما يلقونه من الفتن ويدأبون عليه من التفريق لا تكاد تسلم بيوتهم من الخراب، فهم يؤذون أنفسهم وأهليهم بضروب من الإيذاء قد يعميهم الغرور عنها، أو عن كونها من سعيهم"[2]، ثم بَيَّن اللهُ ﷻ أنَّه لا يرضى بالفساد بإتلاف ما هو نافع للنَّاس، حيث إنَّ نفي المحبة يعني نفي الرضا، والله لا يرضى إلا بالصالحات من الأعمال والإصلاح بما ينفع الناس في دنياهم وأُخراهم، ثم إنَّ هذا المنافقَ إذا وعظه واعظٌ، أو نصحه ناصح، أو أمره آمر بالمعروف، أو نهاه ناهٍ عن المنكر، أو قيل له: اتق الله، واعمل ما يحبه اللهُ ﷻ ويرضاه، وافعل الخير، وابتعد عن الشر، فإنَّه يأبي ذلك

---

(1) المراغي، تفسير المراغي (ج111/2).

(2) المرجع السابق، ج111/2.

وتأخذه عزة نفسه، ويستكبر، ويصر معانداً مستمراً على الإثم والعصيان، فأمثال هذا جزاؤه جهنم وبئس المهاد، وتفصيل القول في عقابه في الفصل الثالث بإذن الله[1].

إنَّ هؤلاء المنافقين موجودون في كل زمان، لا يكاد المجتمعُ الإسلامي يخلو منهم ومن كيدهم ونفاقهم؛ لذلك فإنَّ الله ﷻ تحدث عنهم وعن نفاقهم في القرآن الكريم، ليُحَذِّرَ المؤمنين منهم ومن أفعالهم، فلا يتخذوهم أولياء من دون المؤمنين، ولا ينقادون لهم فيكونون تبعاً لهم في أقوالهم، وأفعالهم.

وتحدَّث ربُّنا –تباركَ وتعالَى– عن صنف آخر من المفسدين في الأرض، ألا وهم اليهود، الذين أساءوا في حق الله ﷻ ووصفوه بأوصافٍ لا تليق بكماله وجماله وجلاله وعزته وعظمته ﷻ، وإن كانوا أساءوا القول في حق الله –تعالَى– فهم أيضاً أساءوا القول والفعل مع عبادِ الله –جلَّ ثناؤه– ، قال الله ﷻ: ﴿ **كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ** ﴾ [المائدة: 64] يُخاطب الله ﷻ النبيَّ ﷺ بأن هؤلاء اليهود "كُلَّمَا عَقَّدُوا أَسْبَابًا يَكِيدُونَكَ بِهَا، وَكُلَّمَا أَبْرَمُوا أُمُورًا يُحَارِبُونَكَ بِهَا يُبْطِلُهَا اللَّهُ وَيَرُدُّ كَيْدَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَيَحِيقُ مَكْرُهُمُ السَّيِّئُ بِهِمْ"[2] ، وأنه يُلْزِمُهُم الخوفَ، ثم عطف الله –تعالى– على فعلهم الذميم هذا فعلاً آخرَ يفعلونه فهم الذين يبذلون جهدهم ليدفعوا هذا الإسلام ويُردُوهُ ضعيفاً منهزِماً، ويصدون النَّاس عنه، ويبذلون جهداً أيضاً بمحو ذكر النبي محمد ﷺ من كتبهم؛ لأنهم يعلمون أنه هو النبي الذي بَشَّرت به الكتب السماوية السابقة لاسيما التوراة والإنجيل، وقد أخذ اللهُ ﷻ عهداً وميثاقاً على أنبيائه –عليهم السلام– بأن يؤمنوا بنبيه محمد ﷺ وينصُرُنَّه، لكن اليهود يأبون إلا أن يطمسوا الحقائقَ، وأن يعيثوا بالأرض الفسادَ أينما حَلُّوا وارْتَحَلُوا، والله – جلَّ ذكره وثناؤه– لا يُحب هؤلاء الذين سجيتهم وصفتهم الإفساد ولا يرضى عنهم ولا عن فعلهم[3].

إنَّ صفة اليهود هذه لاتزال تلازمهم تلازماً لا ينفكُ عنهم، فلم يَدَعُو في بلادنا المُغْتَصَبَة فلسطين صغيراً ولا كبيراً ولا رجلاً ولا امرأةً، ولا مسجداً، ولا بيتاً ، ولا حجراً، ولا شجراً، إلا آذوه، فقتلوا البشرَ، وهدموا المساجدَ، ودمَّروا البيوتَ، واقتلعوا الشجرَ من جذوره، يُحاولون قمعَ الدينِ وسلبَ الحقوقِ وكتمَ الأنفاسِ؛ لأنَّهم منغمسون مستغرقون في الفساد، لكنَّ

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج2/266– 270)؛ ودروزة ، التفسير الحديث (ج6/362-364)، بتصرف.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج3/147).

(3) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ج1/327)، بتصرف.

الله ﷻ لا يحبهم ولا يُحبُ فسادهم، ولن يرفعَ لهم رايةً في الأرضِ، فقد سخَّر لهذا الدين مجاهدين غُرست العقيدة في قلوبهم، وتربوا على حُبِ الدين، وحب الوطن، والثأرِ لدين اللهِ ﷻ، وسينصُرُ اللهُ –تعالى– جندّه الصادقين الثابتين القابضة أيديهم على الزناد، ويُطهِّرَ الأقصى وكل بلادنا من اليهودِ وفسادِهم، كما نصرَ جندَه عليهم، في حروبهم الثلاثة الأخيرة على أرض غزة المباركة.

المطلب الثالث: السعي في آيات الله مُعَاجِزيْن.

لايزال أعداءُ دينِ الله ﷻ يقفون في وجه دعاة الحق الداعين إلى دين الله –تباركَ وتعالَى– فهذا هو ديدنهم وديدن شيطانهم إبليس مُنذُ أن أبى السجود لخليفة الله في الأرض آدم ﵇، ثُمَّ إنَّ أنبياءَ الله ﷻ ورُسُلَه كُذِّبوا وأُوذوا، وعُذِّبَ عددٌ منهم، وكذلك أتباعهم من المؤمنين؛ لأنَّ هناك فريقاً من الناس يسعون بالضلال والفساد والجريمة وبَثِّ كل شُؤمٍ وعداوةٍ ومكرٍ بين عبادِ الله ﷻ، ولقد قصَّ ربُّنا ﷻ علينا القَصَصَ في محكم التنزيل، لتبقى قرآناً يُتلى إلى أن يرثَ اللهُ –تباركَ وتعالَى– الأرضَ ومَنْ عليها، وتكونَ عبرةً لأولي الألباب، وتسليةً وثباتاً للمؤمنين، وذكر ربُّنا –جلَّ ثناؤه– في ثلاث آيات متشابهات من الذكر الحكيم ماذا فعل هؤلاء الساعون في طريق الضلالة بآيات الله ﷻ ومنهاجِه، وأنبيائِه.

قال الله –جلَّ ذكره– : ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ﴾[سبأ:5]، ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴾ [سبأ:38]، ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[الحج:51]، يُبينُ ربُّنَا ﷻ أنَّ الذين كفروا بالله –تباركَ وتعالى– وعملوا على إبطال آياته ﷻ، فهم كانوا يعلمون أنَّ ما جاء به رُسُل اللهِ –تعالى– هو الحق، ولكنهم كانوا يُعانِدُون الحقَ ويأبون الانقياد له، فقاموا بتكذيب الرُسُل –عليهم الصلاة والسلام– وبلغوا الجهدَ في ذلك، وصدُّوا النَّاسَ عن اتباع منهج الله –جلَّ ثناؤه– وعن الإيمان به وبأنبيائه، وإبطال آياته والتكذيب بها، وتحريض النَّاس على الكُفر بِها، ثم إن هؤلاء كانوا في إبطالهم للآيات وتكذيبهم الرُّسُل وصَدِّهم النَّاس عن دين الله، كانوا يظنُّون أنهم مُسابقين، فائتين من عذاب الله ﷻ، وأنهم يُعجِزُونَ اللهَ –تباركَ وتعالى– ولن يَمَسَّهم عذابٌ؛

لأنهم كانوا يُنكرون الإحياء والبعث والنشور بعد الإماتة[1]، وقد ذهب المفسرُ ابن عاشور إلى أن المقصود بالآيات هنا القرآن الكريم كما دلت عليه آيتا سورة سبأ[2].

إنَّ تعدد القراءات في الكلمة الواحدة له تأثير على تغير المعنى واختلافه، فقد قرئت كلمة "**مُعَاجِزِينَ** " بصيغة أخرى، فقد "قَرَأَ ابْن كثير وَأَبُو عَمْرو: ﴿ **وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَجِّزِينَ** ﴾ بِغَيْر ألف أَي ينسبون من تبع النَّبِي ﷺ إِلَى الْعَجز وَهَذَا كَقَوْلِهِم جَهَّلْتُه نسبته إِلَى الْجَهْل وفَسَّقْتُه نسبته إِلَى الْفسق، وَقَالَ مُجَاهِد ﴿**مُعَجِّزِينَ**﴾ أَي: مثبطين ومبطئين، أَي: يثبطون النَّاس عَن النَّبِي ﷺ وَعَن أَتبَاع الْحق، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿**مُعَاجِزِينَ**﴾ بِالْألف أَي: ظانين أَنهم يُعْجِزُوْننا؛ لأَنهم ظنُّوا أَنهم لَا يُبعثون وَأَنه لَا جنَّة وَلَا نَار، قَالَ قَتَادَة: ظنُّوا أَنهم يُعْجِزُوْن الله، وَقَالَ ابْن عَبَّاس: معاجزين مسابقين، وَقَالَ الْفراء: ﴿**مُعَاجِزِينَ**﴾ أَي: معاندين"[3].

قصَّ الله ﷻ في القرآن الكريم قَصَصَ الأنبياءِ –عليهم السلام– وبيَّن كيف وقف الكافرون في وجه الحق، وأبوا أن يؤمنوا بالله ﷻ وبقوا على طغيانهم، وكيف عاملوا الأنبياء –عليهم السلام– بأسلوب فظٍ سيءٍ لا يليق بهم –عليهم السلام–، فقابلوا كُلَّ واحدٍ منهم بما يلي:

اتهموا سيدنا نوحاً عليه السلام بالضلال، قال ﷻ: ﴿ **قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾[الأعراف:60]، واتهموا سيدنا هود عليه السلام بأنه سفيه، ومن الكاذبين، قال ﷻ:﴿ **قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ** ﴾ [الأعراف:66]، وأما قوم سيدنا صالح عليه السلام فقد كفروا به، يقول الله –تباركَ وتعالى– : ﴿ **قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ * قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ * فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴾[الأعراف:75–77]، وعزمَ قومُ سَيِدِنَا

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج12/78–79) بتصرف؛ وانظر: النسفي، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (ج3/53)؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج6/495، 6/522)؛ والشوكاني، فتح القدير (ج4/359).

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج22/143)، (ج22/218).

(3) ابن زنجلة، سعيد الأفغاني (ج1/480–481)، (ج1/582).

إبراهيمَ عليه السلام بأن يحرقوه في النَّار، فألقوه فيها؛ لكن الله جل جلاله جعلها برداً وسلاماً عليه، قال الله – تعالى– : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[العنكبوت:24]، وأمَّا جواب قومِ سيدنا لوطٍ عليه السلام فكان كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف:82]، وأمَّا قوم سيدنا موسى عليه السلام فقد افتروا عليه واتهموه بالسحر، قال الله جل جلاله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[القصص:36]، وكذلك سيدنا عيسى عليه السلام عندما جاء بني إسرائيلَ بالبينات قالوا سحر مبين، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف:6]، ولمْ يسلمْ كذلك خاتم الأنبياءِ والمرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد أُوْذِيَ كما أُوْذِيَ إخوانه الأنبياء السابقين، فأراد قومُه المكرَ به بالأسر أو القتل أو الإخراج من بلده، واتهموه بالسِّحر والكهانة والشعر، وأنَّه جاء بأساطير الأولين، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال:30–31]، وقال الله سبحانه وتعالى لنَبيِّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطُّور: 29] فنفى عنه صلى الله عليه وسلم الكهانة والجنون في هذه الآية، ونفى عنه كل افتراء، وكل اتهام وُجِّه إليه من خلال آيات القرآن الكريم.

ولايزال أعداءُ هذا الدين يشنون حرباً بشعة ضد الإسلام وآيات القرآن الكريم، وعبادَ اللهِ سبحانه وتعالى المؤمنين، فقاموا بغزو فكري ديني وسياسي وثقافي واجتماعي واقتصادي وعلمي بكافة الأساليب وعلى كافة المستويات لينشروا الرذيلة ويَصُدُّوا النَّاس عن منهاجِ اللهِ جل جلاله وشريعته، فأساؤوا إلى الله –جلَّ ثناؤه– وإلى كتابه الكريم، واتهموا القرآن بالنقص، ودعوا إلى تشريعات ليست من هذا الدين وليست من تشريع الله عز وجل.

ومثال ذلك ما صدر منذ فترة ليست بالبعيدة من الدكتورة نوال السعداوي التي تهكمت على الإسلام ومقدساته، ودعت إلى الإباحية المطلقة، وقامت بسبِّ النبي صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي، وزاد تمردها بأن طالبت بإبطال آية الميراث؛ لوصفها بأنها فيها ظلم للمرأة، وحاشاه الله جل جلاله أن

يظلم أحداً، فهو العدل الذي لا يَظْلِم، ووصفت الطواف حول الكعبة بأنه من الوثنية وبقايا الجاهلية، وزعمت أن عقائد الإسلام وتشريعاته هي من صنع الرجل؛ ليثبت بها مركزه في مواجهة المرأة وقهرها وليحطم إنسانيتها، وافترت غير ذلك افتراء عظيماً، ليست هي فحسب إنما يوجد من هم على شاكلتها[1].

حاشاه ربُّنا –تباركَ وتعالى– أن يُوصف بنقص أو أن يُفترى عليه وعلى تشريعه وأنبيائه وكتبه، فهو ذو الجلال والكمال والجمال والمحامد الجميلة والصفات الرفيعة التي لا يشوبها نقص.

من خلال هذا المبحث تبين للباحثة أنَّ ميادين السعي في طريق الهداية أكثر منها في طريق الضلال والتي هي (السعي في خراب مساجد الله –تعالى–، والسعي في الأرض بالفساد، والسعي بالصد عن آيات الله –تعالى– والكفر والتكذيب بها)، وهذا يدلُّ على أنَّ القرآن الكريم تحدث وحثَّ على الهداية والأعمال الصالحة، وأنَّها لا تنحصر في أمور محدودة ومعدودة، بل هي واسعة شاملة جميلة يسيرة؛ لأنَّ ربَّنا ﷻ يدعونا إلى الخير والجمال والتفاؤل، وأنَّ الضلال والأعمال السيئة إنَّما هي الأقل ولابد أن تكون شبه منعدمة في المجتمع المسلم، لأنَّ الإنسان غير معصوم من الخطأ والزلل؛ لذلك قلت شبه منعدمة وليست منعدمة، ولنعلم هنا أن السوء لابد أن نعرفه لكي نقضيَ عليه ونتخلص منه، وأنَّ من سلك طريق الفساد عليه بالتوبة والرجوع إلى الله ﷻ، فهو –تباركَ وتعالى– يقبل توبة عباده ويعفو عنهم ويغفر الذنوب.

---

(1) انظر: الرقب، واقعنا المعاصر والغزو الفكري (ص116–117).

الفصل الثالث

ثمرات السعي في الهداية، وويلات السعي في الضلال

الفصل الثالث

ثمرات السعي في الهداية، وويلات السعي في الضلال

يُوْصَفُ الله ﷻ بصفات الجلال والجمال والكمال، وأنَّ له أسماءً حسنى، لا يُشابهه أحد ولا يماثله في كمال وجمال وجلال صفاته وأسمائه، فمن أسمائه –جلَّ ثناؤه– العَدْل، ومن كمال عَدْله ﷻ أنَّه يُثيب المُحسن على إحسانه، ويُعاقب المسيء المذنب على إساءته وذنبه، وذلك أنّه ﷻ يجمع الخلائقَ إلى يوم الحساب والجزاء، فالمؤمن الذي كان سعيه محموداً في الدنيا يجني ثمرات سعيه بجميل الثواب وعظيم الأجرِ من عند الله ﷻ، وأما العاصي الذي كان سعيه مذموماً في الدنيا فإنَّه يعض على يديه من الندم والحسرة لما يجد من عذاب الله –شديدُ العقاب– ويتمنى لو يرجع إلى الحياة الدنيا فيعمل الصالحات، وهذا العقاب الأُخْرَوي الشديد الأليم المهين العظيم، ليس هو فحسب ما يلقاه العُصاة، وإنَّمَا يُعاقبون بعقاب دنيوي جرَّاء ما يعملون في الدنيا من أعمال يستحقون عليها عقاباً في الدنيا وعقاباً في الآخرة، وبيان تلك الثمرات، وذلك العقاب من خلال مَبْحَثَي هذا الفصل كما تحدث عنها اللهُ –تباركَ وتعالى– في كتابه المجيد، وهي كالآتي:

المبحث الأول

ثمرات السعي في الهداية

ما كان الله ﷻ لِيُضِيْعَ إيمان من آمن به، وما كان الله ﷻ لِيُذْهِبَ عمل من عَمِلَ الصَّالِحات هباءً منثوراً، وما كان الله –جلَّ وعلا– أن يَحُفَّ طريق المؤمن التقي بالمكاره في الدنيا دون أن يجعل له أجراً عظيما في الآخرة؛ لذلك فإنَّه أعدَّ لعباده المؤمنين في الآخرة نعيماً لا يَفنى، ومُلْكَاً لا يَبلى، ورزقَاً لا ينقطع؛ وحُسْنَ ثوابٍ لهم لإيمانهم بالله والائتمار بأمره والانتهاء عن نهيه والمسارعة في الخيرات، وهذه الثمرات أتناولها في مطالب هذا المبحث، مِنْ خِلال آيات الذكر الحكيم.

المطلب الأول: المغفرة والإكرام من الله ﷻ

من المعلوم أنَّ مغفرة الذنوب تسبق دخول الجنة ، وهي "الرحمة والفضل من الله ﷻ، وهي صفة من صفاته، والغفور من أسمائه"[1]، فقبل أن يدخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ تُعرضُ أعمالُ العبادِ،

---

(1) العقّاني، البحار الزاخرة في أسباب المغفرة (ص 19).

ويتذكرُ كلُّ إنسان سَعْيَهُ، ويغفرُ اللهُ ﷻ لمن يشاء من عباده[1]، وهذه المغفرة إنما تتحقق لمن عمل صالحاً في الدنيا فإنَّ الله ﷻ يغفر له ما اقترفه من ذنب؛ لأنَّ "الإنسانَ غير معصوم من الخطأ وارتكاب بعض صغائر الذنوب"[2]، فقد يصدر منه أمرٌ يغفره اللهُ ﷻ له، وكذلك من كان عاصياً مسيئاً ثم تابَ وأنابَ إلى الله ﷻ فإنَّ مغفرة الله ﷻ متحققة له، يقول الله ﷻ :﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا** ﴾ [النِّساء: 48].

وقد ذكر الله ﷻ مثالاً للعبد الصالح الذي استحق مغفرةَ الله –تباركَ وتعالى– وكَرمَهُ ودخولَ جنَّتِهِ، وهو الذي جاء ساعياً من أقصى المدينة لنصرة دين الله ونصرة رُسُلِه –عليهم السَّلام– كما جاء ذكره في سورة يس[3]، كان هذا الرجلُ ناصِحاً لقَوْمِهِ يرجو هدايتهم بالإيمان بالله ﷻ وتصديق الرُّسُل الذين أُرْسِلُوا إليهم –عليهم السلام–.

يقول ربُّنا ﷻ: ﴿ **قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ** ﴾ [يس:26–27]، هذا الرجلُ الناصحُ لقومه بعدما نصح لهم وقال لهم :﴿ **إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ** ﴾ [يس: 25]، قامُوا بقَتْلِهِ، فكانت ثمرة إيمانه بالله ﷻ وصبره على كُل ما يجده ممن عادَى اللهَ ﷻ ورُسُلَه –عليهم السلام–،أنْ أدخله الله ﷻ الجنة، وقيل: دخوله هنا إما أن يكون دخلها حقيقة، وإمَّا أن يكون قد أُخبرَ بأنَّه من أهل الجنة؛ لأنَّ دخولها يُستحق بعد البعث، ولكنْ أرى أنَّه لا ضير بأن يكون دخلها حقيقة؛ لأنَّ الشهداء أرواحهم تكون في حواصل طير خضر في الجنة، "عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾[آل عمران: 169] قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: (أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً]، فَقَالَ: (هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي

---

(1) انظر: (ص 32) من هذا البحث.

(2) الجلعود، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية (ج520/2).

(3) انظر: (ص48) من هذا البحث.

سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا)"[1]، وإنَّما دخل الجنَّةَ لسعيه في طريقِ الخيرِ والهدايةِ، و لِغُفْرانِ الله –تعالى– له وإحاطته بكرمه، فلمَّا أُدخلَ الجنَّةَ ورأى نعيمَها، حيث فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر، تمنَّى حينها لو أنَّ قومَه يعلمون بما أكرمه الله –تعالى– من المغفرة وأنَّه أكرمه بدخول دار الخلود والنَّعيم السرمدي، و تمنَّى ذلك إما لرغبته بأن يعرف قومُهُ مآله وحُسنَ عاقبَتِهِ على إيمانه وتصديقه لرُسُل الله والدعوة إلى دين الله ﷻ، وإما لأنَّه يريد أنْ يهتديَ قومُه ويؤمنوا كما آمنَ فيكون مآلهم في الآخرة جنان الخلود كما أثابه ربُّنا ﷻ [2]، و (ما) في قوله تعالى: ﴿ **بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي** ﴾ "يجوز أن تكون مصدرية: أي بغفران ربي لي، ويجوز أن تكون: بمعنى الذي"[3].

المطلب الثاني: قبول السعي وعدم كُفرانِه

ثمرة أخرى يجنيها من سعى في طريق الهداية، أن يجدَ يومَ القيامةِ عَمَلَهُ الذي عَمِلَهُ في الدنيا مقبولاً غير مردود، محفوظاً عند الله ﷻ ويؤجرُ عليه أجراً عظيماً، وهذا ما يرنو إليه المُسْلِمُ المؤمِنُ باللهِ –تَعَالَى– فإنَّه في حال إحسانه وفِعْلِهِ للصالحات "يرجو قبولَ العملِ فرضاً كان أو نفلاً "[4].

يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ** ﴾ [الأنبياء:94]، يُبَيِنُ الله ﷻ في هذه الآية الكريمة أنَّ مَنْ يعمل من الأعمال الصالحة على الوجه الذي يُرضيه ﷻ، سواء كانت من الفرائض أو النوافل بشرط أن يتحقق بالعبد الذي يعمل الصالحات الإيمان، كما في قوله –جلَّ ثناؤه– : ﴿ **وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَمُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا** ﴾ [الإسراء:19]، ويُقْصَدُ بكونه مؤمناً: "أَيْ

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة/باب بيان أنَّ أرواح الشهداء في الجنَّة وأنَّهم أحياء عند ربهم يُرْزَقُون، 1502/3: رقم الحديث 1887].

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج509/20) بتصرف؛ وانظر: الماوردي، تفسير الماوردي = النكت والعيون (ج14/5).

(3) الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ج451/4).

(4) الغامدي، حقيقة المثل الأعلى وآثاره (ج83/1).

مُوَحِّدٌ لِلَّهِ –جَلَّ وَعَلَا–، غَيْرُ مُشْرِكٍ بِهِ وَلَا كَافِرٍ بِهِ"[1]، قد تَمَكَّنَ الإيمانُ بكُلِّ أركانِه في قلبِه، وظهر ذلك على سَعْيِهِ، فَأْتمر بأوامرِ اللهِ ﷻ وانتهى عن نهيه، وأَعَدَّ العُدَّةَ للقاءِ ربِّهِ –جلَّ ثناؤه– فكان صادقاً مع الله ﷻ ولأجله ﷻ، وسَلَكَ في سَعْيِهِ لله –تعالى– أمرين مهمين عليهما مدار قبول الأعمال عند الله –تباركَ وتعالى–، وهذان الشرطان هما: "الأول: إخلاص العمل لله وحده لا شريك له، فقد أخبرَ "مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)"[2]، والثاني: المتابعة للرسول ﷺ، "عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها–، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)"[3]"[4]، فإنَّ هؤلاء الصنف مِنْ عباد الله ﷻ لا جحود لأعمالهم ولا بطلان لها، وإنَّما هي مكتوبة محفوظة فجميع أعمالهم مدونة مهما كانت صغيرة أو كبيرة عند ربِّنَا ﷻ، ولا يُضيعُ أجرَ من أحسن عملاً، فيُضاعف الأجور ويُثيبهم أحسن الثواب، ويجزيهم خير الجزاء على ما عملوا سواء كان السعيُ قليلاً أو كثيراً، فإنَّ الله –تبارك وتعالى– لا يظلم مثقال ذرة [5].

المطلب الثالث: دُخُوْلُ الجنَّةِ والفَوْزُ بنَعِيْمِهَا

لِكُلِّ طريقٍ نهاية كما له بداية، وليست النهايات متماثلة في الكيفية كما البدايات مختلفة كذلك، وطريق المؤمن كما لها بداية فإنَّ لها نهاية، طريق تختلف عن طريق الكافر والعاصي والمتمرد على شرعِ اللهِ ﷻ، فطريق المؤمن الساعي في الخيرات محفوفة بالمكاره والابتلاءات، لكنها تنتهي نهاية في قمة السعادة والجمال عندما يعيش حياة أُخروية أبدية في جنان الله ﷻ لا شقاء فيها، ولا ابتلاء، ولا كدر ولا تعب، إنَّما هي دار نعيم سرمدي لا يفنى.

---

(1) المنياوي، الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشِّنقيطي في تفسيره أضواء البيان (ج69/1).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي/ باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ،6/1: رقم الحديث 1].

(3) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الأقضية/ باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، 1343/3: رقم الحديث 1718].

(4) القحطاني، نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسُّنَّة (ج21/1).

(5) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج524/18)؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج372/5)؛ والشوكاني، فتح القدير (ج503/3)؛ والقِنَّوجي، فتحُ البيان في مقاصد القرآن (ج370/8–371).

لمْ يتركِ اللهُ –جلَّ ثناؤه– عبادَه المؤمنين الساعين في كُلِّ ما يُرضيه ﷻ السالكين دروباً فيها من التعب والكدر والصِّعابِ والابتلاء، لم يتركهم دون أن يبشرهم بما ينتظرهم من الأجر العظيم والخير الوفير والجنان التي لا شقاء فيها ولا تفنى فيها السعادة أبداً، ذكر ذلك في القرآن الكريم ليثبِّتَ المؤمنين للمُضي في طريقهم وسعيهم المحمود.

يقول الله ﷻ: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [الغاشية:10–16]، يصفُ الله –تباركَ وتعالى– مآل أولئك الذين سعوا في طريق الهداية، ورَضُوا عن سعيهم المحمود، أنهم في جنَّةٍ عاليةِ القدرِ والمكانِ والوصفِ والبناءِ والأركانِ والبهاءِ والجمالِ، فهم في هذا النعيمِ العظيمِ لا يسمعون لغواً ولا كلاماً باطلاً كما قال الله ﷻ: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾ [الواقعة:25–26]، فهم مُتَرَفِّعون عن ذلك كله؛ لأنهم في دار السلامة من كل سوء، يجلسون في الجنة تجري فيها العيون والأنهار العذبة في منظرٍ بهيٍ بديعٍ خلابٍ، ولهم فيها سررٌ مرتفعةٌ، ومن النَّعيمِ الذي لا فناءَ له أنَّ لهم أكواباً _ كيزاناً لا عُرى لها_ وُضعت في متناولِ أيديهم، أو وُضعتْ بجوارِ العيونِ الجارية فهي مُعدَّة للشرب، وليطيبَ جُلُوْسُهُم ويَنْعموا فيه لهم وسائد صُفت بجانبِ بعضِها البعض، وبُسطٌ مبثوثةٌ مفرقةٌ في المجالس(1).

ويقول الله ﷻ: ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ * قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان:11–21]، تبث هذه الآيات الراحة والطمأنينة في قلب كل مؤمن بالله ﷻ

---

(1) انظر: أبو القاسم، ابن جزي الكلبي التسهيل لعلوم التنزيل (ج477/2)؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 386)؛ وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب (ج20/ 297–299)؛ والحجازي، التفسير الواضح (ج857/3– 858).

صدَّقَ الإيمانَ بالعملِ الصالحِ، فهي تبشرهم بأنهم لمَّا كان سعيهم وعملهم في الدنيا ابتغاء مرضاة الله ﷻ والنجاة من هول يوم الحساب، فقد وقاهم الله ﷻ ما في يوم القيامة من أهوال عظيمة ومخيفة، وقد زادهم على ذلك بأن وهبهم وجوها نضرة وقلوباً مسرورة، وأنَّه –جلَّ ثناؤه– جزاهم على سعيهم في طريق الهداية وصبرهم جنة نعيمها لا يُشابه أي نعيم، ففيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وحريراً فهو لباسهم في الجنة، متكئين في الجنة على الآرائك، وهي السرر في الحجال[1] لا يرون في الجنة حراً شديداً ولا برداً قارساً، إنما جوها معتدل جميل، وهم يجلسون في الجنة تدنو منهم ظلال الأشجار وذُلِّلَ لهم قطف ثمر الأشجار وأكله، فإنها تدنو للجالسين والمضجعين والقائمين ولكل على هيئته التي هو عليها، فيتناول الثمر بيسر دون عسر ومشقة، ويُطافُ على أهل الجنة بآنية ليس لها عُرى اجتمع فيها صفاء الزجاج وبياض الفضة، هذه الآنية مخصصة لشراب أهل الجنة، وليس ذلك فحسب إنما يُقَدَّمُ لهم الشرابُ مقدراً بحسب حاجة الشارب، فلا يزيد عن مقداره ولا ينقص عن حاجة الشارب، ولمَّا حرَّمَ اللهُ ﷻ على عباده في الدنيا شرب الخمر، فقد أكرمهم في الجنة بشراب بكأس مزاج شرابه زنجبيلاً، والكأس هي الإناء الذي فيه شراب، فإن كان خاليا من الخمر أُطلق عليه إناء، وذهب البعض إلى أنَّهم يُمزج لهم شرابهم بالزنجبيل، وقيل: اسم للعين التي منها مزاج شراب الأبرار، ولهم أيضاً في الجنة عين تسمى سلسبيلاً فهي سَلِسَةُ انقيادِ الماء وجريانه، والسلسبيل إما اسم للعين أو وصف لها وهذا ما رجحه الإمام الطبري، ويطوف على أهل الجنة ولدان مخلدون أي لا يموتون، وقيل: إنَّ شبابهم دائم فلا يكبرون، وقيل: مُسَوّرون، وقيل: مُقرّطون، وهؤلاء الولدان قد جعلهم الله ﷻ في خدمةِ أهلِ الجنَّة، وهنا يُخاطب الله ﷻ النبيَّ ﷺ قائلاً له: وإذا رأيت يا محمد هؤلاء الولدان في حال اجتماعهم وفي حال افتراقهم وما هم عليه من البهاء والجمال والبياض والكثرة كأنهم لؤلؤٌ منثورٌ مُفَرَّقٌ ذو منظرٍ بهيجٍ بديعٍ، وإذا يا محمد مددت بصرك ورأيت بنظرك رأيتَ ما أعدَّهُ الله ﷻ من الكرامة والنعيم لأهل الجنَّة، ولهم ملك كبير قيل: هو تسليم الملائكة واستئذانهم عليهم، ثم يذكر ربّنا ﷻ نعيماً آخر، فهؤلاء الأبرار فوقهم ثياب من سندس، وقيل إنما هذه الثياب فوق حِجَالِهِم، والسندس ما رقَّ من الديباج، والإستبرق ما غلُظّ

(1) الحِجَال: هِيَ بَيْت يُزَيَّن بِالثِّيَابِ وَالسُّتُور لِلْعَرُوسِ، انظر: المحلى والسيوطي، تفسير الجلالين (ج385/1).

من الديباج، وحُلُّوا أساور من فضة، وسقاهم الله ﷻ شراباً طهوراً يطهر بواطنهم، فَمِنْ طُهْرِهِ أنّه يرشح من أجسادهم كرشح المسك ورائحته(1).

إنَّ معرفة الإنسان بوجود ثمرات عظيمة لسالكي سبل الهداية لهي خير معين على الثبات بعد الله ﷻ، فهذه الثمار اليانعة الجميلة بمغفرة الله –تعالى– لزلات عباده المؤمنين، وأنَّ الله ﷻ يقبل منهم أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا ولا يجحدها، ثم يدخلهم الجنة حيث الاستقرار والرفاهية والراحة والضياء والنعيم السرمدي المقيم والنعيم الأعظم برؤية الله الواحد القهار، لهي دعامة وركيزة أساسية تدفع بالمؤمن إلى المسارعة في عمل الصالحات والإكثار منها والثبات عليها بعون الله –تباركَ وتعالى–.

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج24/99–113) بتصرف؛ وانظر: النسفي، تفسير النسفي (ج3/578–580).

المبحث الثاني

ويلات السعي في الضلال

لقد أنصفَ اللهُ ﷻ عبادَه أجمعين، فأنزل على نبيه محمد ﷺ قرآناً محكماً يُتلى حتى قيام الساعة، ودستوراً يحكمُ في الأرض، أنزلهُ ربُّنا ﷻ مخاطباً الجن والإنس، مبشراً للمؤمنين المتقين، ومنذراً للعصاة والكافرين، فكما بشَّر المتقين بالمغفرة والنعيم الأبدي في الجنان، فقد أنذر العصاة والكافرين وكل الساعين في طريق الضلال، بأنْ بيَّنَ عقابهم وجزاءهم في الدنيا وفي الآخرة؛ لعلهم ينزجروا ويعتبروا، وفي هذا المبحث أتناول الآيات التي تحدثت عن هذه الويلات والعقوبات لأولئك الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: الويلات الدنيوية

ما كان الله ﷻ تاركاً دينه الحنيف يُنال منه ومن أهله دون أن يقتصَّ من العاصي والظالم والضال والمتجبر، وإن كان يمهلهم فإنَّه لا يهملهم، فالله ﷻ أثلج صدور المؤمنين وزادهم صبراً بأن أخبرَ في كتابه الكريم عن عقاب أولئك الذين يعيثون في الأرض فساداً ويحسبون أنه لا قوة أقوى منهم تمنعهم عن فسادهم، ويظنون أنَّهم سيُترَكوا سُدى، فهم نسوا بل أنكروا أنَّ الله –تعالى– لهم بالمرصاد ما داموا على الإثم والعدوان والخطيئة.

قال الله –تباركَ وتعالى– : ﴿ **إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [المائدة: 33]، يتحدثُ الله ﷻ في هذه الآية عن عقاب أولئك الذين يعتدون على شرع الله ﷻ وأحكامه، ويعتدون على نبيه ﷺ بمخالفة ما جاء به من عند الله ﷻ والعمل على مقاتلته ومعاداته، ويسعون في أرض الله –تعالى– بالكفر وسلب أموال الناس وسرقتهم، وقتلهم بغير وجه حق، واعتراض طرقهم ومباغتتهم بإيقاع الجريمة بهم(1)، وقد نزلت هذه الآية في أناسٍ من عُكْلٍ وعُرَيْنَة، "عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَهْطًا مِنْ عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا أَهْلَ ضَرْعٍ وَلَمْ نَكُنْ أَهْلَ رِيفٍ فَاسْتَوْخَمْنَا الْمَدِينَةَ، فَأَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَوْدٍ راعٍ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يخرجوا فيها فليشربوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا، فَلَمَّا صَحُّوا وَكَانُوا بِنَاحِيَةِ الْحَرَّةِ قَتَلُوا رَاعِيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاسْتَاقُوا الذَّوْدَ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي آثَارِهِمْ، فَأُتِيَ بِهِمْ فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ فَتُرِكُوا في الحرة التي مَاتُوا عَلَى حَالِهِمْ. قَالَ قَتَادَةُ:

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج10/ 257)؛ والسعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ج229/1)؛ ونخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج113/1).

ذُكِرَ لَنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِمْ: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا ﴾ [المائدة: 33] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ "[1]، ففي هؤلاء الرهط نزلت هذه الآية، ولكنَّها تشمل بأحكامها كلَّ من حارب الله ورسوله، وهؤلاء المحارِبون توعدهم الله ﷻ بعذاب في الدنيا مالم يُقْدَرَ عليهم قبل توبتهم وعودتهم إلى الله ﷻ ، وهذا الحكم والوعيد الذي بيَّنهُ الله ﷻ في الآية فيه قولان: " أحدهما: أنَّها على التخيير وأن الإمام فيهم بالخيار بين أن يَقْتُلَ أو يَصْلِبَ أو يَقْطَعَ أو يَنْفِيَ، وهذا قول سعيد بن المسيب، ومجاهد، وعطاء، وإبراهيم، والثاني: أنَّها مرتبةٌ تَخْتَلِفُ عَلَى قَدَرِ اخْتِلَافِ الأَفْعَالْ"[2] وبيانها فيما يأتي:

أولاً: التَّقْتِيْل

أول عقوبة ذكرها الله ﷻ هي قتل هؤلاء، في قوله ﷻ: ﴿ أَن يُقَتَّلُوٓاْ ﴾، وجاء الأمر بقتلهم بصيغة المبالغة، ليدل بذلك على ضرورة إقامة الحكم عليهم دون مرونة أو لين، لكونه أمر يستحق اتخاذ القوة والشدة فيه؛ لأنَّ هؤلاء المحاربين لابُدَّ أن يُعاقبوا على جرمهم الذي اقترفوه، وليكون رادعاً ومخوِّفاً لمن خلفهم من النَّاس؛ حتى لا تتكرر هذه الجريمة ثانية، والأكثر على أنَّ القتلَ هنا إنما هو عقوبة وجزاء للمحارِب الذي قَتَلَ ولم يأخذ المال[3]، وذهب إبراهيم[4] إلى أن القتلَ عقوبة من أَخَذَ المال وقتل[5].

ثانياً: التَّصْلِيْب

وهو أيضاً صيغة مبالغة من الصلب، قال –تعالى–:﴿ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ ﴾، وَالصَّلْبُ: " وَضْعُ الْجَانِي الَّذِي يُرَادُ قَتْلُهُ مَشْدُودًا عَلَى خَشَبَةٍ ثُمَّ قَتْلُهُ عَلَيْهَا طَعْنًا بِالرُّمْحِ فِي مَوْضِعِ الْقَتْلِ. وَقِيلَ: الصَّلْبُ بَعْدَ الْقَتْلِ. وَالْأَوَّلُ قَوْلُ مَالِكٍ، وَالثَّانِي مَذْهَبُ أَشْهَبَ وَالشَّافِعِيِّ"[6]، وهو عقوبة لمن

---

(1) الواحدي، أسباب نزول القرآن (ج1/194–195).

(2) الماوردي، تفسير الماوردي= النكت والعيون (ج2/33).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج3/100) بتصرف؛ وانظر : ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج6/183).

(4) هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، الكوفي، فقيه أهل الكوفة، التابعي الجليل، دخل على عائشة رضي الله عنها، ولم يثبت له سماع عنها بل سمع جماعة من كبار التابعين، منهم علقمة وخالاه الأسود، وعبد الرحمن بنا يزيد، وروى عنه جماعة من التابعين، أجمع العلماء على توثيقه وبراعته في الفقه، توفي عام 96هـ، انظر: أبو زهو، الحديث والمحدثون (ج1/197–198).

(5) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج10/258).

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج6/183).

حاربَ وأَخَذَ المال وقتلَ، وهذا ما ذهب إليه جماعة منهم ابن عباس وقتادة وأبو مجلز [1]، وذهب إبراهيم إلى قولين آخرين أحدهما: أنَّ الصلب عقوبة من خرج وأخاف السبيل وقتل ولم يأخذ المال، والثاني: أنّ من أَخَذَ المالَ وقتلَ ومثَّل فإنَّ عقابه الصلب[2].

ثالثاً: التَّقْطِيْع

عقوبة أخرى يُبَيِّنُها الله ﷻ فيمن حارب اللهَ ورسُوْلَه، وقد جاءت بصيغة المبالغة، قال ﷻ: ﴿ **أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ** ﴾ وهي للمحاربين إذا "أَخَذُوا الْمَالَ وَلَمْ يَقْتُلُوا"[3]، وذهب المفسرُ ابن عاشور إلى أنَّ (مِنْ) فِي قَوْلِهِ -جلَّ ذكره- ﴿ **مِّنْ خِلَافٍ** ﴾ "ابْتِدَائِيَّةٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ، فَهِيَ قَيْدٌ لِلْقَطْعِ، أَيْ أنّ الْقطع يبتدىء فِي حَالِ التَّخَالُفِ، وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الْمَقْطُوعَ هُوَ الْعُضْوُ الْمُخَالِفُ فَتَعَيَّنَ أَنَّهُ مُخَالِفٌ لِمَقْطُوعٍ آخَرَ وَإِلَّا لَمْ تُتَصَوَّرِ الْمُخَالَفَةُ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عُضْوٌ مَقْطُوعٌ سَابِقٌ فَقَدْ تَعَذَّرَ التَّخَالُفُ فَيَكُونُ الْقَطْعُ لِلْعُضْوِ الْأَوَّلِ آنِفًا ثُمَّ تَجْرِي الْمُخَالَفَةُ فِيمَا بَعْد"[4]، ثمَّ أضاف معنىً آخر تحمله كلمة ﴿ **مِّنْ خِلَافٍ** ﴾ قائلاً: "وَقَدْ عُلِمَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ **مِّنْ خِلَافٍ** ﴾ أَنَّهُ لَا يُقْطَعُ مِنَ الْمُحَارِبِ إِلَّا يَدٌ وَاحِدَةٌ أَوْ رِجْلٌ وَاحِدَةٌ وَلَا يُقْطَعُ يَدَاهُ أَوْ رِجْلَاهُ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يُتَصَوَّرْ مَعْنًى لِكَوْنِ الْقَطْعِ مِنْ خِلَافٍ، فَهَذَا التَّرْكِيبُ مِنْ بَدِيعِ الْإِيجَازِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ كَوْنَ الْقَطْعِ مِنْ خِلَافٍ تَيْسِيرٌ وَرَحْمَةٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَمْكَنُ لحركة بَقِيَّة الْجهد بَعْدَ الْبُرْءِ وَذَلِكَ بِأَنْ يَتَوَكَّأَ بِالْيَدِ الْبَاقِيَةِ عَلَى عُودٍ بِجِهَةِ الرِّجْلِ الْمَقْطُوعَة، قَالَ عُلَمَاؤُنَا: تُقْطَعُ يَدُهُ لِأَجْلِ أَخْذِ الْمَالِ، وَرِجْلُهُ لِلْإِخَافَةِ لِأَنَّ الْيَدَ هِيَ الْعُضْوُ الَّذِي بِهِ الْأَخْذُ، وَالرِّجْلَ هِيَ الْعُضْوُ الَّذِي بِهِ الْإِخَافَةُ، أَيِ الْمَشْيُ وَرَاءَ النَّاسِ وَالتَّعَرُّضُ لَهُمْ"[5].

رابعاً: النَّفي

عقوبة رابعة لهؤلاء المحاربين وهي كما قال الله ﷻ: ﴿ **أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ** ﴾والنَّفي عقوبة لمن حاربَ بإخافته طريق النَّاس فحسب دون أن يقتل أو يأخذ المال[6]. وتعددت أقوال

---

(1) هو: لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري، أبو مجلز – بكسر الميم وسكون الجيم وفتح اللام بعدها زاي – مشهور بكنيته، ثقة من كبار الثالثة، مات سنة 106هـ، انظر: العسقلاني، النكت على كتاب ابن الصلاح (ج638/2).

(2) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج257/10-259).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج100/3).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج183/6).

(5) المرجع السابق، ج183/6-184.

(6) المحلى، والسيوطي، تفسير الجلالين (ج142/1)، بتصرف.

العلماء والمفسرين في بيان معنى النفي، فذهب البعض إلى أنَّه أَنْ يُطْلَبَ – المُحارِب– حَتَّى يُقْدَرَ عَلَيْهِ، فيقام عَلَيْهِ الْحَدُّ أَوْ يَهْرُبُ مِنْ دَارِ الْإِسْلَامِ، وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ أَنْ يُنْفَى مِنْ بَلَدِهِ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ، أَوْ يُخْرِجُهُ السُّلْطَانُ أَوْ نَائِبُهُ مِنْ مُعَامَلَتِهِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَقيل يَنْفِيهِ – السُّلْطَانُ أَوْ نَائِبُهُ– مِنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ، ويرى آخر: أَنَّه يُنْفَى مِنْ جُنْد إِلَى جُنْدٍ سِنِينَ، وَلَا يُخْرَجُ مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ، وَقَالَ جماعةٌ: الْمُرَادُ بِالنَّفْيِ السِّجْنُ، وَاختار الطبريُّ: أَنْ يُخْرَجَ مِنْ بَلَدِهِ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ فَيُسْجَنَ فِيهِ[1]، وقال ابن عاشور هو: "الْإِبْعَادُ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ وَطَنُهُ لِأَنَّ النَّفْيَ مَعْنَاهُ عَدَمُ الْوُجُودِ، وَالْمُرَادُ الْإِبْعَادُ، لِأَنَّهُ إِبْعَادٌ عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ حَارَبُوهُمْ"[2].

خامساً: الْخِزْي

بيَّنَ اللهُ –تباركَ وتعالى– أَنَّ جميعَ هذه العقوبات المذكورة إنَّما هي خزيٌ "وهوان وفضيحةٌ"[3] "وشرٌّ وعار وذلةٌ، ونكال وعقوبة في عاجل الدنيا قبل الآخرة"[4] لأولئك المُحاربين.

وليس الخزيُ عقوبةً للمحارِبينَ فقط، إنَّما هو عقوبةٌ كذلِك لمن منعَ مساجدَ الله أن يُذْكَرَ فيها اسمه وسَعَى في خَرَابِهَا، قال ﷻ: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [البقرة:114]، وقد سبق الحديث عن تفسير هذه الآية في المبحث الثاني من الفصل الثاني، لكنْ لابُدَّ من بيان ما تَوَعَّدَ به الله ﷻ هذا الصنف الآخر من الناس جزاءً وعقاباً لهم في الدنيا قبل الآخرة على جرمهم وعدوانهم، فَهُمْ ﴿ **لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ** ﴾، أي لهم "العارُ والشَّرُّ والذِّلَّةُ إمَّا القتل والسِّبَاء، وإما الذلة والصَّغَار بأداءِ الجزية"[5]، وقيل يُقصَدُ بالخزي "القتل للحربيِّ والجزية للذميِّ"[6] وقيل: إنَّ المشركينَ الذِيْنَ مَنَعُوا النَّبِيَّ ﷺ والمؤمنينَ منْ دُخُولِ البيتِ الحرامِ وأَدَاءِ العِبَادةِ للهِ ﷻ، فقد كان خزيهم في الدنيا أنهم مُنعوا من أنْ يدخُلُوا المسجد الحرام، "عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ ﵁، فِيمَنْ يُؤَذِّنُ يَوْمَ النَّحْرِ بِمِنًى: (لاَ يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَيَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ يَوْمُ

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج3/100–101).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج6/184).
(3) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص317).
(4) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج10/ 276).
(5) المرجع السابق، ج2/ 525.
(6) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص126).

النَّحْرِ)[1]، فلمَّا حجَّ النَّبِيُّ ﷺ حجة الوداع لم يجرؤ أحدٌ من المشركين على الحجِّ و دخول المسجد الحرام[2]. ويرجع تعدد معنى الخزي في هذه الآية إلى ما جاء في تفسيرها ومعرفة سبب نزولها[3].

سادساً: الهلاك وزوال النعمة

إنَّ اللهَ ﷻ ليُنعم على العباد، ويغدق عليهم الرزق، ونعم الله متعددة باختلاف أنواعها، وكذا الرزق الذي لا ينحصر معناه في تحصيل المال فقط، فكل خير من الله –تعالى– فهو رزق، فالعلم النافع رزق، والذرية الصالحة رزق، والزوج الصالح والزوجة الصالحة رزق، ورفقاء الخير رزق، وإرسال الأنبياء –عليهم السلام– ومن بعدهم الدعاة إلى النَّاس لهو نعمة ورزق من الله ذي الفضل العظيم، فمن حافظ على النعم وشكر المُنعِم زاده الله من فضله، ومن جحد واستكبر واقترف المعاصي والذنوب فقد باء بسخط الله ﷻ عليه، وزالت عنه النعم، وتحول النعيم والرزق إلى هلاك، تماماً كما حصل مع أقوام أنبياء الله ﷩، الذين كذَّبوا الرُّسل، وكفروا بالمعجزات، وعاندوا و عصوا أمرَ الله –تباركَ وتعالى–.

يقول ربُّنا ﷻ: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ * وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ * فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:38–40]، تتحدث هذه الآيات عن بعض الأقوام الذين سعوا في طريق الضلال فكانت عاقبتهم الهلاك وزوال النعم في الدنيا، تتحدث عن قوم سيدنا هود عليه السلام وهم قوم عاد الذين كانوا يسكنون المنطقة التي تسمى بالأحقاف، وهي منطقة قريبة من حضر موت في بلاد اليمن، وقوم سيدنا صالح عليه السلام وهم قوم ثمود، وكان مسكنهم من الأرض الحجر قريباً من وادي القرى، وقد كان العرب يعرفون هذه المساكن جيدا ويمرون عليها، هذه الأقوام كان قد زيَّن وحبب وجمَّلَ لهم الشيطان أعمالهم الباطلة وكفرهم بالله –تعالى– وتكذيبهم لرسل الله –عليهم السلام– ومنعهم وصدهم عن اتباع السبيل القويم سبيل الهداية والرشاد، وكانوا مستبصرين في الضلال، وقيل: حسبوا أنَّهم على الهدى وهم على الباطل وقيل: أتوا ما أتوه وقد

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجزية/ باب كيف يُنبَذُ إلى أهل العهد، 102/4: رقم الحديث 3177].

(2) انظر: القاسمي، محاسن التأويل (ج379/1).

(3) انظر: مطلب السعي في خراب مساجد الله تعالى (ص53).

بيِّن لهم أنَّ عاقبةَ الكفرِ والضلالِ العذابُ، ومن هؤلاء الكفار أيضاً قارون من قوم سيدنا موسى ﷺ الذي أعطاه اللهُ ﷻ المال الوفير حتى إنَّ مفاتح خزائنه لتنوءُ بالعصبة أولي القوة، وفرعون الذي ادعى الربوبية والألوهية وعاث في الأرض فساداً، ووزيره هامان الذي كان معه في الكفر والعصيان وكانا يقفان بالمرصاد لسيدنا موسى ﷺ ومن آمن معه، فأهلكهم اللهُ –تعالى– جميعهم، (وما كانوا سابقين) ما كانوا يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم.[1]،

ثم بيَّن اللهُ –تعالى– أنَّه أخذ كل قوم من هذه الأقوام بذنوبهم التي اقترفوها ، فقوم عاد، جاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد، عاتية شديدة الهبوب جداً، تحمل عليهم حصباء الأرض فتقلبها عليهم، وتقتلعهم من الأرض فترفع الرجل منهم إلى عنان السماء، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى بدناً بلا رأس، كأنهم أعجاز نخل منقعر، وأمَّا قوم ثمود فجاءتهم صيحة أخمدت الأصوات منهم والحركات، فأمَّا قارون الذي طغى وبغى وعتا، واعتقد أنَّه أفضل من غيره، واختال في مشيته، فخسف الله به وبداره الأرض، وأُهلك فرعون ووزيره هامان، وجنوده عن آخرهم، أغرقوا في صبيحة واحدة، فلم ينج منهم مخبر، وما كان الله ليظلمهم فيما فعل بهم، إنما فعل ذلك بهم جزاءً وفاقاً بما كسبت أيديهم[2] .

المطلب الثاني: الويلات الأخروية

لم تكن العقوبات التي تم ذكرها للتَّو هي وحدها التي يستحقها الساعون في طريق الضلال، إنَّمَا ينتظرهم جزاءٌ أشدُّ وأفظعُ وأقسى مِمَّا وجَدُوهُ في الدنيا، وذلك يوم القيامةِ يومَ تُوَفَّى كُلُ نفسٍ ما كسبت، وتُجزى إمَّا جنّةً، وإمَّا ناراً، كُلٌّ بحسب عملها.

أعرضُ في هذا المطلب العذاب الأخروي كما تحدثت عنه آيات الذكر الحكيم، وإن كانت آيات السعي لم تَسْتَفِضْ في ذكره، وإنَّما ذكرته بشكل مجمل مختصر، وهو كما يأتي:

أولاً: عذابٌ عَظِيْم

قال الله ﷻ عن أولئك الذين يسعون في خراب مساجده ويمنعون أن يُذْكَرَ فيها اسمه: ﴿ **وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [البقرة:114]، والعذاب العظيم هو عذاب جهنم الشديد المؤلم الذي لا يشبه أي عذاب، لا في شدته، ولا في إيلامه، ولا في أي شيء آخر، لا يستطيع المرء

---

(1) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص833) بتصرف؛ وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج278/6).

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج278/6-279).

تحمله ولا يطيقه، فأهل النَّار ماكثون في هذا العذاب يتمنون الموت فلا يلقونه، ويتمنون النَّجاة فلا يجدونها[1].

ثانياً: جَهَنَّمُ وبِئْسَ المِهَاد.

جاء عقب الحديث عن الأخنس بن شريق[2]، العذاب الذي يستحقه المنافق الذي يستمر في نفاقه، ولا يعود ولا يتوب إلى الله ﷻ، فهو كما قال الله ﷻ: ﴿ **فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ** ﴾ [البقرة: 206]، أي أنَّ نار جهنم كافية لهذا المنافق – ولكل من يستحق أن يُعَذَّبَ– عقوبة وجزاءً في الآخرة، على ما فعله في الدنيا، وجهنَّم هي: "عَلَمٌ عَلَى دَارِ الْعِقَابِ الْمُوقَدَةِ نَارًا"[3]، وجاء أسلوب الذم بقوله "بئس" للدلالة على سوء هذا المكان وغلاظة عذابه، وأنَّه مكان إهانة لا كرامة، والمِهَادُ وَاحِدِها المَهْدُ، وهو المكان الذي يُهَيَأ للنوم، وتسمية جهنم بالمِهَاد إمَّا لكونها المكان الذي يستقرُّ فيه الكافرون في الآخرة، وإمَّا أن يكونَ ذلك على سبيل التهكم لكون العاصي يُلْقَى فِي جَهَنَّمَ فتصادف ظهرَه وجنبَيْه[4].

ثالثاً: أنَّهم أصحاب الجحيم

قال الله ﷻ عن الذين سعوا في آياته معاجزين﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ** ﴾ [الحج:51]، أي أنَّهم "ملازمو النَّارَ المُوقدةِ "[5]، والجحيم هي "النَّارُ الْحَارَّةُ الْمُوجِعَةُ الشَّدِيدُ عَذَابُهَا وَنَكَالُهَا "[6].

رابعاً: عذابٌ من رجزٍ أليم

عذاب آخر يذكره الله ﷻ لأولئك الذين سعوا في إبطال آياته والصد عنها، فقال ﷻ: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ** ﴾[سبأ:5]، فهم في الآخرة يلاقون "أسوأ العذاب وأشده ألماً"[7]، وهو "مؤلم لأبدانهم وقلوبهم"[8].

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج525/2)؛ والماوردي، تفسير الماوردي= النكت والعيون، (ج175/1)؛ والقرني، التفسير الميسر (ص27)، بتصرف.

(2) انظر: (ص 58) من هذا البحث.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج271/2).

(4) الشوكاني، فتح القدير (ج240/1)بتصرف؛ وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج272/2).

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج113/6).

(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج441/5).

(7) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج428/1)؛ والخطيب، أوضح التفاسير (ج520/1).

(8) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ج674/1).

خامساً: أنَّهُم في العَذَابِ مُحْضَرُون

لازلنا في ذكر عذاب أولئك الذين يسعون في تكذيب آيات الله ﷻ، قال ربُّنا –جلَّ ثناؤه– : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [سبأ:38]، أي أنَّ هؤلاء "جميعهم مجزيون بأعمالهم فيها بحسبهم"[1] وأنهم يوم القيامة "فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ تُحْضِرُهُمُ الزَّبَانِيَةُ إِلَيْهَا لَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا"[2].

على الرغم من أنَّ هذه الآيات لم تأتِ بتفصيل الوصف لعذاب جهنم –أعاذنا الله ﷻ منها– إلا أنَّ أكثر من موضع في القرآن الكريم جاء بوصف شنيع لعذابها، تقشعر منه الأبدان، علَّها تزجر من تمادى في عدوانه وطغيانه، ومن هذه المواضع قوله –تباركَ وتعالى– : ﴿۞هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج:19–22]، عذابُ أهل النَّار في النَّار أليم شديد فظيع لا يُطاق، فهؤلاء الذين كفروا "قُدِّرت على مقاديرِ جثثهم نيرانٌ هائلةٌ تحيطُ بهم إحاطةَ الثِّيابِ بلابسِها ﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ أي الماءُ الحارُّ الذي انتهتْ حرارتُه، قال ابن عباس ﷺ: لو قطرت قطرةٌ منها على جبال الدُّنيا لأذابتَها"[3]، هذا الحميم فعله شنيع "يصهر ما في بطونهم من اللحم والشحم والأمعاء، من شدة حره، وعظيم أمره"[4]، وجاء في الحديث الشريف: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، وَتَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ [الحج: 19] فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الْجُمْجُمَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْلِتُ[5] مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يُمَزِّقَ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ)"[6]، ليس هذا فحسب ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ هذه المقامع وجه عذاب آخر لهم، يُعَذَّبُونَ بها، وهي "بيد الملائكة الغلاظ الشداد، تضربهم فيها تقمعهم"[7]، ثم قال الله ﷻ:

---

(1) الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير (ج133/2).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج379/4).

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج101/6).

(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ج535/1).

(5) فَيَسْلِتُ: يقطعه ويستأصِله، انظر: السيوطي، قوت المغتذي على جامع الترمذي (ج619/2).

(6) [النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير/ باب تفسير سورة الحج، 419/2: رقم الحديث 3458].

(7) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ج535/1).

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ قَالَ "الفُضيل بْنُ عِيَاضٍ: وَاللَّهِ مَا طَمِعُوا فِي الْخُرُوجِ، إِنَّ الْأَرْجُلَ لَمُقَيَّدَةٌ، وَإِنَّ الْأَيْدِيَ لَمُوثَقَةٌ، وَلَكِنْ يَرْفَعُهُمْ لَهَبُهَا، وَتَرُدُّهُمْ مَقَامِعُهَا"[1]، ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ معنى قوله تعالى، أنَّ أهل النَّار "يُهَانُونَ بِالْعَذَابِ قَوْلًا وَفِعْلًا"[2].

ينبغي على كل عاقلٍ يعلم بما تَوَعَّدَ الله ﷻ به كلَّ عاصٍ وكافرٍ ومنافقٍ وفاسقٍ ومرتدٍ، من العذاب الزائل في الدنيا، والعذاب الدائم الفظ الغليظ الفظيع في الآخرة، عليه أن يعرفَ قدرَ الله ﷻ جيداً ويتبع رضوانه وينقادَ له؛ لأنَّه لا مَفرَّ من هذا العذاب لمن يستحقه، ولا طاقة لهؤلاء بأن يذوقوا عذاباً كهذا، فمن أسلم واتبع رضوان الله وقاه الله ﷻ عذابَه، ومن عصى وكفر ونافقَ وارتدَّ وأعرض عن الله ﷻ وأوامره، فهو مستحقٌ لعذابِ الله ﷻ ولا أسف ولا حُزنَ عليه؛ لأنَّه ألقى بنفسه إلى التهلكة، فَلْيَذُق عذاب جهنَّم وبئس المصير.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/407).

(2) المرجع السابق، ج5/407.

الفصل الرابع
نماذج من الساعين في طريق الهداية والضلال

الفصل الرابع
نماذج من الساعين في طريق الهداية والضلال

ضربَ اللهُ –تعالى– في كتابه الحكيم أمثلة ونماذج لمن اتَّخذ سبيلَ الهداية وسعى فيه سعياً محموداً واعتصمَ بدينِ اللهِ –جلَّ ثناؤه– ليكون قدوة يتأسَّى ويقتدي به من يتلو كتاب الله –تباركَ وتعالى–، وأمثلة أخرى لمن حادَ عن طريقِ الحقِّ واتَّبعَ مسلك الشيطان، فكان سعيه مشؤوماً مذموماً، فهم ذُكروا ليكونوا عبرةً وعظةً لمن يأتي خلفهم من عبادِ اللهِ–تعالى–؛ لأنَّ كُلَّ من زاغ عن الحقِّ فعاقبته الخسران في الدنيا وعذابٌ عظيم في الآخرة، لذا أعرضُ في مبحثَيْ هذا الفصل بعضَ النماذج لكُلِّ فريقٍ منهم، كما تحدَّث عنهم القرآن الكريم

المبحث الأول
نماذج من الساعين في طريق الهداية

السَّاعون في طريقِ الهداية هم مناراتُ هدىً، وركائزُ ثباتٍ لكُلِّ من شَهِدَ حالَهم وصلاحَهم وهُداهُم، أو من سَمِعَ عنهم؛ لتواتر الأخبار بذكرهم، فالمؤمن طريقه في الدُّنيا دوماً محفوفة بالمكاره، وليست مفروشة بالورود، فيحتاج دوماً أن يُغَذِّي نفْسَه بقصص السابقين أمثاله الذين تحمَّلوا المكاره والصِّعاب في سبيل رضا الله – تعالى– والنَّجاة يوم الحساب، فَتَشُدُّ من أزره، وتحنو عليه، فلَطَاْلَمَا تقاذفته الرياح فبقيَ ثابتاً راسخاً على الحقِّ.

المطلب الأول: سعي نبيّ الله نوح عليه السلام

خير مثال وخير نموذج لأولئك الذين يقصدون طريق الهداية والثبات والخير والفلاح هم أنبياء الله ﷻ –عليهم السلام–، وأتناول بين ثنايا هذا المطلب دعوة نبيِّ الله نوح عليه السلام الذي بذل حياته جُلَّها في دعوة قومه إلى عبادة الله –تباركَ وتعالى– وحده لا شريك له.

يقول اللهُ ﷻ: ﴿ **إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ * قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ * أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا * فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا * ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ**

لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا * فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا * يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا *وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا *مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا * وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا * أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا * وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا * وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا * ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا * وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا * لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴾ [نوح:1-20]، يبينُ اللهُ -تعالى- في هذه السورة أنَّه بعث عبده نوحاً عليه السلام لهداية النَّاس في زمانه، ينذرهم ويحذرهم من عذاب الله جل جلاله في الدنيا والآخرة إذا ما استمروا في كفرهم بالله سبحانه وتعالى وعبادة أصناماً من دونه لا تضر ولا تنفع، فأخبرهم سيدنا نوح عليه السلام أنَّه جاء منذراً، إنذاراً بيناً واضحاً، وأمرهم أن يعبدوا الله -تباركَ وتعالى- وأن يتقوه ويخشوه ويطيعوا أمره، فإذا ما عبدوه واتقوه فإنَّه يغفر لهم ذنوبهم، ويتركهم في حياتهم الدنيا حتى تنتهي آجالهم وأعمارهم دون أن يروا عذاباً في حياتهم الدنيا، وهذا كان أسلوب ترغيب منه عليه السلام ليحببهم بطاعة أمر الله جل جلاله، ثم قال لهم ناصحاً مذكراً إنَّ أجل الله إذا حان وقته لا يمنعه مانع، ولا يصرفه صارف، ولا يؤخره مؤخر، لو كنتم تعلمون، ثم قال سيدنا نوح عليه السلام مخاطباً ربَّه -جلَّ وعلا- بأنَّه دعا قومه دعوة دائمة متصلة في الليل والنهار، لكنَّ دعوته لقومه لم تغير حالهم ولم يكن من قومه سوى الإعراض والفرار من دعوته أكثر مما سبق، ثمَّ إنهم لكثرة إعراضهم واستغراقهم في الإعراض كلما دعاهم نبيهم نوح عليه السلام إلى عبادة الله -تعالى- وحده جعلوا أصابعهم في آذانهم حتى لا يستمعوا قوله، وغطوا رؤوسهم بثيابهم حتى لا يرونه، وأصروا على عنادهم واستمروا في كفرهم، واستكبروا عن الإيمان والانقياد لأمر الله -تعالى-، وقد كان سيدنا نوح عليه السلام مخلصاً في دعوته، فقد استخدم كل الوسائل، واغتنم كل الأوقات، حتى إنَّه كان يدعوهم جميعهم دعوة واحدة جهرية، وفي أوقات أخرى يسر دعوته بينه وبين الناس، فقال ناصحاً داعياً لهم بأن يطلبوا المغفرة من الله -تعالى- بكثرة الاستغفار، فإنَّ الله جل جلاله غفار كثير المغفرة لمن تاب وأناب إليه سبحانه وتعالى، ثمَّ ذكر لهم فيض نعمه -تباركَ وتعالى- على عباده إذا ما اعتصموا بحبل الله عز وجل، إنَّه جل جلاله ينزل عليكم الغيث متتالياً متتابعاً كثير النفع والفائدة والرزق والخير، ويمددكم بالأموال وكذلك بالبنين اللذَيْنِ يعدان زينة الحياة الدنيا، ويجعل لكم بساتين مخضرة فيها من كل الخيرات والثمرات، ويجعل لكم أنهاراً تجري تنتفعون بها في كل أمور حياتكم، ثم قال منادياً لهم مالكم لا تعظمون الله ربكم حق التعظيم له، وهو الذي خلقكم في مراحل متتابعة متتالية مذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة وسرتم في مراحل حياتكم حتى أصبحتم خلقاً كاملاً ومتعكم بالنعم التي لا تعد ولا تُحصى، ألم تروا يا قومِ كيف أبدع الله الخلق فخلق سبع سموات بعضها فوق بعض بلا

عمد، محكمة الإبداع والتكوين، وجعل في سمائنا التي نراها جعل لنا نور القمر وسراج الشمس الأكثر قوة نوراً ودفأً، والله ﷻ هو الذي أنبتكم من الأرض فأصلكم من تراب، ذاك التراب الذي خلق منه أبينا آدم عليه السلام، ثم إنَّه –تعالى– يميتنا بعد هذه الحياة الفانية ثم يبعثنا مرة أخرى يخرجنا من الأرض من قبورنا للحساب والجزاء، وهو الله –جلَّ ذكره– الذي جعل لكم الأرض منبسطة مستوية سهلة التنقل عليها، والعيش فوقها، وممارسة الحياة كلها فوقها دون عناء أو ضجر لتسلكوا من هذه الأرض طرقاً وسبلاً واسعة[1] .

المطلب الثاني: سعي نبي الله إبراهيم عليه السلام

أقف هنا مع ثلاثة أمثلة لخليل الرحمن وأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، لكثرة آيات الذكر الحكيم التي تتحدث عنه عليه السلام.

الأول: السعي إلى اليقين بقدرة الله ﷻ

يقول الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: 260]، يَقُصُّ الله –تباركَ وتعالى– علينا ما حدث مع نبيه إبراهيم عليه السلام بعد أن آمن بالله –جلَّ ثناؤه– أنَّه سألَ ربَّهُ ﷻ أن يُريَه كيف يُحي الموتى بعد إماتتهم؛ وهذا السؤال لكي يصل إلى درجة اليقين بالله –تعالى– الذي لا يشوبه شك، وليحافظ على إيمانه بربِّه ﷻ إيماناً صلباً قوياً متجذراً في القلب، ولم يكن سؤاله هذا فيه أدنى شك بقدرة الله –جلَّ وعلا– فخاطبه اللهُ ﷻ أولم تؤمن ؟ فأجاب إبراهيم عليه السلام بلى ربي إنَّنِي مؤمنٌ بك ولكن أريد أن يطمئن قلبي أكثر لما يجول في خاطري من هذا الأمر الغيبي وهو إعادة الحياة للأموات، ولأن معاينة الأمر ومشاهدته ليس كالخبر فحسب، فأمره الله –تعالى– أن يأتي بأربعة طيور، ثم يذبح هذه الطيور ويخلط أجزاءها بعضها ببعض وأن يجعل على كل جبل ربع هذه الأجزاء المختلطة، على أن يُبقيَ في يديه رؤوس هذه الطيور، ثم يدعهن سيرى أنَّ هذه الأجزاء المقطعة عاد كل جزء منها مركباً مع رأس هذا الطير، حتى اكتملت هذه الأجزاء واتصلت برأس الطير ولم يُخطئ أيَّ جزءٍ منها مكانه الصحيح ثم طار هذا الطير بعد إعادته للحياة، بعدما حصلّ كلُّ ذلك، علم إبراهيم عليه السلام وتيقنَ أنَّ ربَّنا –تباركَ وتعالى– قدرته لا

---

(1) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن= تفسير البغوي (ج8/227–232)؛ والمحلى والسيوطي، تفسير الجلالين (ص ص767–769)؛ والسعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ص888–889)، بتصرف.

حدَّ لها، وأنَّه عزيز لا يفوته شيء ولا يصعُب عليه فعل شيء، وأنَّه حكيم يضع كل شيءٍ في مكانه اللائق والمناسب، وكلّ شيءٍ عنده بحكمة ولا يفعل شيئاً عبثاً، سبحانهُ لا إله غيره ولا معبود بحق سواه[1].

الثاني: السعي في هداية أبيه إلى الحق

يقول ربُّنا ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا * إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا * يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا * قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا * وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا * فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا * وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾ [مريم:41-50]، يُخاطبُ الله ﷻ نبيَّهُ محمداً ﷺ أن اذكر يا محمد في كتاب ربِّكَ ﷻ أخاك إبراهيم ﵇ إنَّه كان كثير الصدق لا يكذب، صادقاً في كل الأمور، وفي سره وعلانيته، وأقواله وأفعاله، وكان نبيَّاً اصطفاه الله –تعالى– لتبليغ دعوته إلى الناس، وتظهر هذه الآيات سعيَ إبراهيمَ ﵇ في هدايته لأبيه، فتودد إليه داعياً إلى الله –جلَّ ثناؤه– بأسلوب لبقٍ لطيفٍ رقيقٍ فقال يا أبت لم تعبد أصناماً أحجاراً لا تسمعك ولا تبصرك ولا تملك أن تدفع عنها ضر ولا تجلب لها نفعاً، وهي أيضاً لا تملك لكم نفعاً ولا ضراً يا من تعبدونها من دونِ اللهِ ﷻ، ومن شدة أدبه ﵇ مع أبيه خاطبَه يا أبت إني أتاني علماً لم يصلك بعد ولم تَعْلَمه بعد فاتبعني في نصحي لك حتى تهتدي إلى صراط الله –جلَّ وعلا– المستقيم، يا أبت وكم تحمل هذه الكلمة من الحب والحنان والخوف على أبيه، يا أبت لا تطع الشيطان ولا تتبعه في المعاصي والآثام، فإنَّ من أطاع الشيطان فكأنما عبده من دون الله ﷻ، إنَّ هذا الشيطان كان ولايزال عاصياً لربِّه –تباركَ وتعالى– ويعصي اللهَ ﷻ بإغوائه للنَّاسِ وصدِّهم عن دين الله ﷻ وعبادته وتوحيده إلهاً واحداً لا شريك له، ثم أكمل إبراهيم ﵇ نصحَهُ قائلاً: يا أبتِ إني أخشى وأخاف أن يصيبك عذاب من الله –تعالى– بسبب عصيانك فتكون للشيطان ولياً وقريناً في الدنيا في معصية الله ﷻ وبالآخرة في العذاب في نار جهنم، فما كان من أبيه إلا أنْ

(1) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص186) بتصرف؛ وانظر: الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ج252/1-253).

قابله بالفظاظة والشدة فقال منكراً على إبراهيم عليه السلام أراغب وممتنع عن آلهتي يا إبراهيم؟ وقد ناداه باسمه ولم يقل يا بُنَيّ لفظاظته، ثم قال مهدِّدَاً لئن لم تنتهِ وتكف عن شتم آلهتي ودعوتي إلى دينك لأرجمنَّك بالحجارة، واهجرني زماناً طويلاً بعيداً، فما كان من نبيِّنا إبراهيم عليه السلام إلا أن واجه إساءة أبيه بالإحسان وترك أباه مخبراً إياه بأنَّه سيبقى يدعو اللهَ –تعالى– أن يغفرَ لأبيهِ ويهديه إلى دينه القويم، فإنَّ الله –تعالى– شديد اللطف بنبيِّه إبراهيم عليه السلام، واعتزل قومَه مُهَاجراً، تركهم وهم يعبدون أصناما آلهة من دون الله عز وجل، وأنَّه سيبقى على عبادة الله –تباركَ وتعالى– وسيدعو الله جل جلاله راجياً منه أن يقبلَ منه عمله ويجيبَ دعاءه، فلما اعتزل قومه وأصنامهم أكرمه الله سبحانه وتعالى بأن وهبه إسحاق ولداً له، ووهبَ لإسحاقَ يعقوبَ، وكلاً جعل اللهُ نبيًّا وجعل في ذريتهم النبوة، ورزقهم وآتاهم العلم والحكمة والمال والأولاد، وجعل لهم ذكراً وثناءً في أهل السماء، وفي أهل الأرض فلا يخلو زمانٌ من الأزمان إلا ويُعرف فيه إبراهيم عليه السلام وذريته، ومكانتهم عند الله –جلَّ ثناؤه– ودعوتهم أقوامهم لدين الله – تعالى– وكانوا حنفاء للهِ مسلمين له[1].

الثالث: السعي إلى تحطيم الأصنام

لمَّا عرفَ إبراهيم عليه السلام أنَّ الله عز وجل هو الإله المستحق للعبادة، وأنَّه إله الكون وربُّه ومليكه، وينبغي على كل المخلوقات ألّا تؤمن بإله غيره، وألّا تعبدَ سواه، حينها قام بدعوة قومه إلى عبادة الله الواحد الأحد وترك عبادة أصنام صنعوها بأيديهم ليس لها نفع ولا ضر، فلمَّا أعرضوا عن دعوته والإيمان بالله جل جلاله وحده لا شريك له، أقسم أن يُحطمَ أصنامهم، وبيان ذلك من خلال الآيات القرآنية الآتية.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ * قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ *وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ * قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ

---

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص494)؛ والصابوني، صفوة التفاسير (ج199/2– 201)، بتصرف.

عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ * أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ * قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ * قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ * وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ * وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ * وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ * وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء:51-73]، يؤكد اللهُ ﷻ في هذه الآيات أنَّه آتى نبيَّه إبراهيمَ ﵇ التوفيق بالهداية إلى الدين الحق، وكان ذلك من قبل زمن موسى وأخيه هاون -عليهما السلام- فإبراهيم ﵇ أبو الانبياء وقد سبقهم في الدعوة إلى دين الله ﷻ، وبيَّنَ اللهُ -تباركَ وتعالى- أنَّه كان يعلمُ أنَّ إبراهيم ﵇ أهلاً لهذا الدين ولهذه الدعوة، وقد قام بدعوة أبيه وقومه إلى ترك عبادة الأصنام، فقال لهم ما هذه التماثيل التي أنتم مقيمون وعاكفون ومستمرون على عبادتها، فهم لا يقضون جُلَّ وقتِهم في عبادة الأصنام، ولكنَّهم متعلقون بها وبعبادتها تعلقاً معنويا، إضافة إلى بعض أوقاتهم التي يقضونها في عبادة هذه الأحجار التي لا تسمن ولا تغني من جوع، وقد قال لهم إبراهيم ﵇ هذه التماثيل لينفي عنها الألوهية، فما هي إلا أخشاب أو حجارة أو أي شيء مما يُصنع منها تلك التماثيل التي لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعاً وضراً، فما كان جواب قومه إلا جواباً يَنُمُّ عن عدم تدبرهم وتفكرهم وعدم إعمال فكرهم فيما يجري حولهم؛ إنَّما جمَّدُوا تلك العقول التي أنعم اللهُ -جلَّ ثناؤه- بها عليهم، ولكنهم أهملوها وكانوا إمعة اتبعوا ما كان يفعله آباؤهم من قبل، فكانوا يشاهدون آباءهم يعبدون هذه الأصنام، فصاروا على طريقتهم يتبعونه دون إعمال فكر، فلمَّا سمعَ إبراهيم ﵇ بقولهم أنَّهم اتبعوا ما كان عليه آباؤهم من قبل، قال لهم مؤكدا لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال واضح مبين، فقالوا له: يا إبراهيم هل أنت محق وعلى الجادة فيما تقول أم أنت من اللاعبين؟ وهذا السؤال إنما يبين ما هم فيه من اختلال الفكر والروح عندهم، فباختلالهم هذا لم يعرفوا إن كان إبراهيم ﵇ على الحق، أم كان من اللاعبين!! فقال مجيباً على استفسارهم إنَّما ربكم الذي يستحق العبادة هو رب السماوات والأرض الذي خلقهن، وأبدع خلقهن، وإني من الشاهدين على وحدانية الله -تعالى- الخالق المالك المدبر، ثمَّ أقسمَ إبراهيم ﵇ أن يسعى سعيا محموداً فقد أقسم أنه سيحطم ويدمر هذه الأصنام التي هم لها عابدون، ولكنَّه سيدمرها في حال غيابهم وتوليهم، لا بوجود أحد منهم، فلمَّا كان يوم عيد عندهم وخرج جميعهم ولم يكن أحد عند هذه الأصنام، قام إبراهيم ﵇ بتكسير جميع الأصنام وتدميرها، فتساقطت تلك الأصنام ولم يُبقِ صنماً على حاله سوى أكبر صنم عندهم؛ ليكون حجة عليهم دالة على ضلالهم وسفاهة عقولهم، لعلهم إذا ما رجعوا ووجدوا ما حدث بآلهتم التي

لا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئاً سألوا كبير هذه الأصنام عمَّن فعل هذه الفِعلة وحطم باقي الأصنام في غيابهم، أو لعلهم يرجعون إلى أنفسهم ويعرفوا أنهم على الضلال ولابد أن يرجعوا إلى الصواب ويؤمنوا برب العالمين، فلمَّا عادوا ورأوا مشهد تلك الأصنام المكسرة المدمرة، قالوا من فعل هذا بآلهتنا؟ إنَّه من الظالمين، أمَا شعر هؤلاء بالمذلة والمهانة عندما رأوا ذلك المشهد المهين أن أصنامهم ملقاة على الأرض محطمة لا حراك لها، لم تستطع أن تدفع عن نفسها الأذى الذي أُلحق بها!! فأجاب بعض القوم الذين قد كانوا سمعوا بقسم إبراهيم عليه السلام أنه سيكيد أصنامهم، فقالوا سمعنا فتى يذكر هذه الأصنام، يُقال له إبراهيم، وقولهم: (يُقال) أنَّهم أرادوا التصغير والتقليل من شأن إبراهيم عليه السلام، وقولهم فتى تدل أنه كان شاباً، فأمروا أن يأتوا به أمام جميع الناس حتى يشهدوا ما سيقع من حديثهم مع إبراهيم عليه السلام، فلمَّا جاءوا به قالوا: ألأنت فعلت هذا التحطيم والتكسير بآلهتنا يا إبراهيم؟ فأجابهم بل فعله كبير الأصنام هذا الذي لم يُمَس بسوء، فإنَّ كبيرهم لم يعجبه أن يُعبد معه أصنام أخرى صغيرة، فقام بتكسيرها، ليُعبد وحده من قِبَلِكم، واسألوا آلهتكم المحطمة من فعل ذلك، فإن كانوا ينطقون سيجيبونكم على سؤالكم، وهنا أراد إبراهيم عليه السلام أن يعترف القوم بأنَّ هذه الأصنام لا تستحق العبادة فهي لا تنطق ولا تسمع ولا تبصر، ولم تستطع أن تصرف الأذى عن نفسها ولا عن غيرها، فرجع القوم إلى نفوسهم يلومونها أنهم هم السبب في تحطيم الأصنام وكانوا هم الظالمون بأن تركوها دون أن يجعلوا عندها حافظ لها، وهذا يبين مدى سخافة تفكيرهم وأنهم لم يعملوا عقولهم، فكيف يندمون على عدم حراستهم لأصنامهم، والطبيعي أن الإله هو الذي يحفظ عباده من السوء، وأنَّه ليس بحاجة لحارس يحرسه، وإنَّما يدل ذلك على أنَّه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم أطرقوا هؤلاء القوم رءوسهم في الأرض من العجز والحيرة لقد علمت يا إبراهيم أنَّ هذه الأصنام لا تنطق فكيف تطلب منا أن نسألها عمن أساء إليها!! فلمَّا سمع اعترافهم وقولهم هذا، قال لهم أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم ولا يضركم شيئاً ؟ أف لكم ولما تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون وتتفكرون وتتدبرون ما أنتم عليه من الجحود والكفر بالله عز وجل واستمراركم في ضلالكم؟ فأقام عليهم الحجة بما فعل، فما كان منهم إلا أن أخذتهم العزة بالإثم، فلم يستطيعوا الرد على كلام إبراهيم عليه السلام فكل ما قاله هو الصواب، فلجأوا إلى قوتهم الغاشمة وأضرموا النار شديدة الحرارة عالية اللهب، لكي يُحرِّقوا إبراهيم عليه السلام وينصروا أصنامهم، فرموه بالمنجنيق فألقوه فيها، وهنا تجلَّت عظمة الله –تباركَ وتعالى– ونصرته لنبيِّه بكلمة منه، فقال الله عز وجل: قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم، فهي لم تكن باردة ذات ضرر، ولم تكن حارة ذات إيذاء، فلم تمَسّ النار شيئاً من جسده، فلم تمس سوى الوثاق الذي كان يوثق به، كما جاء عن بعض المفسرين، ولقد كان آخر

كلام إبراهيم عليه السلام عندما ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل، "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: " (كَانَ آخِرُ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ)"[1]، فنجَّاه الله منها، وأراد هؤلاء الكافرون إلحاق الأذى بنبي الله –تعالى– وكادوا له، لكنَّ الله تعالى جعلهم الأخسرين في الدنيا وفي الآخرة، ونجَّى نبيَّه من النَّار فلما أُخرج منها، هاجر هو وابن أخيه لوط –عليهما السلام– إلى بلاد الشام وقد نجوا من القوم الخاسرين الكافرين، ووهبه الله –جلَّ ثناؤه– إسحاقَ عليه السلام ووهبه يعقوب ولداً لإسحاق –عليهم السلام– وكلاً جعلهم الله جل جلاله صالحين، وجعلهم أئمة يهدون الناس بأمر الله –تعالى– إلى طريق الهداية والحق، وأوحى الله –جلَّ ذكره– إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وكانوا لله تعالى وحده عابدين[2].

إنَّ أمةَ الإسلام بحاجة إلى شباب كرسول الله إبراهيم عليه السلام، ينشروا دعوةَ الله في أنحاء الدنيا قاطبة، لا يخافون في الله لومة لائم، فكم من مخلوقات وأصنام وأوثان تُعبدُ من دون الله – تباركَ وتعالى– سواء عن جهل أو عن عمد وعناد وإلحاد، حتى لا يكون على وجه الأرض إلا توحيد الواحد الذي لا شريك له، الله –جلَّ في علاه–.

المطلب الثالث: سعي هاجر أم إسماعيل –عليهما السَّلام–

تشهدُ ماءُ زمزم في مكة على سَعْي هاجر –عليها السلام– حين وضعها زوجُها إبراهيم عليه السلام هي وولدِهَا إسماعيل عليه السلام مُذْ كان طفلاً رضيعاً، عندما امتثل لأمر ربِّه –تباركَ وتعالى– ووضع زوجته وطفله وتركهما، وليس معهما أحدٌ سوى الله جل جلاله، وقد ترك لهما شيئاً من التمر وبعضاً من الماء، فلمَّا نفذ الطعام والشراب، قامت هاجر –عليها السلام– تسعى لتجدَ ما يعينهما على الاستمرار على قيد الحياة، فلم يَدَعِ اللهُ تعالى سعيها يذهب هباءً منثوراً، كيف لا وقد كانت هي وابنها في كَنَفِ اللهِ وحفظه، ثُمَّ إنَّ إبراهيم عليه السلام، قبل أن يُغادرَ مكان زوجِه وولدِه – عليهما السلام– بالكلية توجَّهَ مستقبلاً ناحية البيت دون أن تراه زوجه، داعياً الله عز وجل بمَا أخبرنا به ربُّنا –جلَّ ثناؤه– في محكمِ التنزيل: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم:37]، والقصةُ كاملة يرويها ابن عمِّ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، عبدالله بن عباس رضي

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾[آل عمران: 173] الآيَةَ، 39/6: رقم الحديث 4564]

(2) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص ص718–720) بتصرف؛ وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج348/5–353)؛ وقطب، في ظلال القرآن (ج2385/4–2388).

الله عنهما، فقد جاء عن " سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ المِنْطَقَ[1] مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ البَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ، فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى المَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لاَ يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لاَ يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: رَبِّ ﴿ **رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ** ﴾[إبراهيم: 37]– حَتَّى بَلَغَ– ﴿ **يَشۡكُرُونَ** ﴾ [إبراهيم: 37] " وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ[2]، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ المَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا» فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى المَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ صَهٍ – تُرِيدُ نَفْسَهَا –، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ، حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " يَرْحَمُ اللَّهُ

---

(1) المِنْطَق: بِكَسْر الْمِيم مَا يشد بِهِ الْوسط أَي: اتَّخذت أم اسماعيل منطقاً، وَكَانَ أول الاتخاذ من جِهَتهَا، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهَا تزيت بزِي الخدم إشعاراً بِأَنَّهَا خَادِم سارة لتستميل خاطرها وتجبر قَلبهَا، وَكَانَ السَّبَب فِي ذَلِك أَن سارة كَانَت وهبت هَاجر لإِبْرَاهِيم عليه السلام فحملت مِنْهُ بِإِسْمَاعِيل عليه السلام، فَلَمَّا وَلدته غارت مِنْهَا، فَحَلَفت لتقطعن مِنْهَا ثَلَاثَة أَعْضَاء، فاتخذت هَاجر منطقاً فشدت بِهِ وَسطهَا وَجَرت ذيلها لتخفي أَثَرهَا على سارة، وَهُوَ معنى قَوْله: (لتعفي أَثَرهَا)؛ وانظر: العينى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج15/255).

(2) يتلبط: بِالْبَاء الْمُوَحدَة قبل الطَّاء الْمُهْملَة أَي: يتمرغ وَيضْرب بِنَفسِهِ الأَرْض، وَقَالَ الدَّاودِيّ: هُوَ أَن يُحَرك لِسَانه وشفتيه كَأَنَّهُ يَمُوت. قَالَ الْخَلِيل: لبط فلَان بفلان الأَرْض إِذا صرعه صرعاً عنيفاً، وَقَالَ ابْن دُرَيْد: اللبط بِالْيَدِ والخبط بِالرجلِ، انظر: العينى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج15/256).

أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ – أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ –، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا " قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لاَ تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ، يَبْنِي هَذَا الغُلاَمُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَهْلَهُ..."[1].

المطلب الرابع: سعي نبي الله يوسف عليه السلام في السجن

إنَّ أنبياءَ الله –تعالى– ورسلَه، إنَّما هم عباد مصطفون أخيار، هم على قدر تبليغ دعوة الله جل جلاله، فلا يتركون موقف ولا حدث ولا سؤال إلا ويجعلون منه دعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى الحق، والحديث هنا عن نبي الله يوسف عليه السلام الذي ميزَّه اللهُ بالرسالة والدعوة إلى دينه، فهو نبي من ذرية الأنبياء –عليهم السلام– أبوه يعقوب عليه السلام، وجده إسحاق عليه السلام، وجده الأكبر أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وقد اتبع ملتهم، فكان حنيفاً مسلماً للهِ ربِّ العالمين.

يقول الله جل جلاله: ﴿ **يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ** ﴾[يوسف:39-40]، لمَّا أُدخلَ سيدنا يوسف عليه السلام السجن بغير وجه حق، كان معه في السجن فتيان أحدهما صاحب طعام الملك، والآخر صاحب شراب الملك، فلمَّا تجاذبوا أطراف الحديث، علموا أن يوسف عليه السلام على ملة آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب –عليهم السلام–، وأنه يعرف تفسير الرؤى، وكان كل واحد من الفتية قد سألوا يوسف عليه السلام عن تعبير وتفسير رؤيا قد رآها في منامه، وقد اغتنم يوسف عليه السلام هذه الفرصة للدعوة إلى دين الله –تباركَ وتعالى–، لا سيما عندما عرف أنَّ أحد الفتية مصيره القتل، كما دلَّ على ذلك رؤيته التي رآها في منامه، فقال لهما: (يا صاحبي السجن) خاطبهما بالبداية بأداة النداء لكي يستثير مسامعهم ويستمعوا جيداً لما بعد النداء، وناداهما بصاحبي السجن نسبة إلى المكان الذي هم فيه، ثم سألهم قائلاً: عبادة أرباب وآلهة كما تدعون أنَّها آلهة، آلهة متفرقة مختلفة في الصفات والأشكال والألوان والذوات، لا تنفع ولا تضر، أهي خير وتستحق العبادة أم الله –تعالى– الخالق، الذي بيده الخلق وحده، المالك المدبر للكون كله وما فيه، الواحد الذي لا شريك له في أفعاله وصفاته وذاته، القهار لكل ما عداه من جميع المخلوقات، بالتأكيد أنَّ الإجابة (بل الله الواحد القهار)، ثم عدل عن خطاب الاثنين إلى

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، 142/4: رقمالحديث 3364].

خطاب الجمع؛ ليشمل بخطابه الفتيين وكل مشرك بالله ﷻ ثم قال: ما تعبدون من دون الله إلا ما أطلقتم عليها اسم آلهة أنتم وآباؤكم من قبلكم، فكل معبود سوى الله –تعالى– أنتم أطلقتم عليه اسم إله، ولكن لا إله إلا الله، لا ندَّ له ولا شبيه ولا مثيل، وما أطلقتم عليه اسم آلهة من عند أنفسكم، فإنَّه لا حجة وبرهان على أنها من عند الله وتستدعي العبادة، إنَّما هي اختلاق وافتراء منكم أنتم وآباؤكم، إن الحكم لله وحده لا شريك له، وقد أمر اللهُ ﷻ بعبادته وحده وعدم الشرك به، وإنَّ دينَ اللهِ ﷻ وإفراده وحده بالألوهية والربوبية والعبادة هو الدين الصحيح السليم القويم الذي لا اعوجاج فيه، ولكنَّ أكثر النَّاس يجهلون معرفة الله –تعالى– خالقهم ومالك الكون ومدبر كل شيء، ورازقهم ومحييهم ومميتهم، والذي بيده كل شيء، لا يعلمون ذلك فكان لجهلهم بذلك كله دافعا لعبادة غير الله ﷻ[1].

إنَّ النَّاس بحاجة إلى توعية دينية وفكرية وثقافية وفي كل المجالات؛ ليعرفوا حقيقة الدين السليم والصراط المستقيم، رغم أنَّ المتدبر في نفسه وفي المخلوقات جمعاء وفي الكون بأسره يقوده تدبره، وتقوده فطرته إلى عبادة الله –تعالى–، لكن لا ضير من أن نذكِّر النَّاسَ بعدما غزا عالمنا الحاضر وسائل التكنولوجيا الحديثة، التي كان لها دور في تشويه صورة الدين الإسلامي الحنيف، وتشويه صورة المسلمين، فهذا العصر بحاجة إلى أمثال أنبياء الله –تعالى– بإعادة الصورة المشرقة لديننا العظيم، وتوجيه ضربات مضادة لهذا الغزو الشنيع ضد الإسلام والمسلمين، فقط بحاجة للاقتداء بأنبياء الله –تعالى– وجرأتهم في قول الحق، وعزيمة تفل الحديد؛ لتكن دوماً راية الله هي العليا.

المطلب الخامس: سعي أخت نبيّ الله موسى عليه السلام

يصطفي اللهُ –تباركَ وتعالى– من عباده رُسُلاً هم أهلاً لحمل رسالته، وتبليغ دعوته، والصبر على وعورة الطريق ومشقتها، فمن رسل اللهِ ﷻ كليمه موسى عليه السلام، الذي وُلدَ في زمان يسوده ظلمُ فرعون وجبروته وطغيانه، وقد كان فرعون يتخوف من ميلاد مولود ذكر من بني إسرائيل، يُهدد ملك فرعون وقوته، لكنَّ اللهَ ﷻ يأبى إلا أن يعليَ رايته، ويشع نور هدايته في الآفاق كلها، ويندثر الكفر وظلماته، فجعل من وسط هذا الجهل والظلم والعتمة والطغيان يظهر نور الإيمان والهداية وتوحيد الله وحده لا شريك له، بميلاد نبي الله موسى عليه السلام الذي خُلقَ لأجل

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج16/104–106)بتصرف؛ وانظر: الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ج2/613–615).

دعوة النَّاس إلى عبادة خالقهم –جلَّ وعلا–، فكانت قدرة الله فوق كل شيء، وحكمته وغايته هي الغالبة البالغة، فأوحى إلى أم موسى عليه السلام أن تلقي ولدها في اليم، وكانت قد وعدت من اللهِ –تعالى– بأن يردَّ إليها ولدها موسى عليه السلام وأن يجعله من المرسلين، يقول اللهُ جل جلاله: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص:7]، فكان قلبها على ولدها، تترقب أي خبر عنه، فأرسلت أخته تنظر ماذا يحدث معه.

يقول الله –تعالى–: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ * فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص:10-13]، تتحدث هذه الآيات عن الحالة التي كانت تعتري أم نبينا موسى عليه السلام فقلب الأم ليس كقلب أحد أبداً، فقد ألقت رضيعها بأمر الله –تعالى– في اليم، لكنَّ قلبها كان في ذلك الوقت فارغاً من كُلِّ شيء، إلا من تعلقه بولدها الرضيع وانشغال قلبها عليه، حتى إنها كادت وقاربت أن تبدي بشيء يتعلق بولدها كأن تنادي بأنَّه ابنها، لكنَّ الله عز وجل ثبَّتها وربط على قلبها، لتكون بذلك من المؤمنين بوعد الله –تعالى– لها، وأنَّ الله سبحانه وتعالى سيردُّ إليها ولدها ويجعله في حياته من المرسَلِين، ثمَّ توجهت هذه الأم الحنون إلى ابنتها بطلب تتبع أثر أخيها وماذا سيحدث به، فأطاعت أمرَ أمها وتتبعت أثر أخيها وأمره عن بعد، وآل فرعون لا يشعرون بها ولا بأمرها وصلتها بأخيها، فلمَّا التقطه جنود فرعون وطلبت آسيا زوجة فرعون أن يبقى هذا الرضيع في قصرهم؛ علَّه يكون لها ولزوجها ولداً، أو أن يحقق لهم منفعة ما، فلمَّا حانَ وقت رَضَاعَتِه وكانوا في القصر قد أحضروا العديد من المرضعات ليتم اختيار المرضعة المناسبة التي يقبل عليها موسى عليه السلام، ولكن هنا أراد اللهُ –تعالى– أن يردَّ موسى عليه السلام إلى أمه، وأن يقرَّ عينيها برؤيته، فلم يقبلْ موسى عليه السلام أي واحدة منهن، فقد حرَّمَ اللهُ عز وجل عليه المراضع، وهنا تكلمت أخته ناصحة مرشدة، فقالت لمن في القصر هل أدلكم على أهل بيت يكفلون هذا الرضيع وهم له ناصحون؟؟ فشكوا بأمرها، وأنَّها تعرفه فسألوها عن ذلك، فما كان منها إلا أن قالت إنَّما هم ناصحون للملك ويهتمون بأمره وسلامته، فبعثوا إلى أم موسى عليه السلام فلمَّا أرضعته أقبل عليها ولم يرفضها، فرُدَّ إليها، فهي ترضعه وتهتم بأمره، واطمأنَّ قلبها وسكنت روحها بعودة رضيعها إلى أحضانها بتحقق وعدُ اللهِ –جلَّ وعلا– لها[1]، ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون أي: "آل

(1) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(ص ص813-814) بتصرف؛ وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج 223/6- 224)؛ والجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ج54/4-58).

فرعون كانوا لا يعلمون أنَّ الله وعدها ردَّه عليها"[1]، ومعنى آخر: أنَّ "حكم الله في أفعاله وعواقبها المحمودة، التي هو المحمود عليها في الدنيا والآخرة، فربما يقع الأمر كريها إلى النفوس، وعاقبته محمودة في نفس الأمر"[2].

المطلب السادس: سعي صاحبِ صاحبِ الجنتين

ضرب اللهُ ﷻ في كتابه الكريم، مثلاً لرجلين من عباده أحدهما مؤمن، والآخر كافر، وقد حدث بينهما حوار، سَعَىْ المؤمنُ بحواره، أن يعودَ الكافرُ للصوابِ ويؤمنَ باللهِ ﷻ لا شريكَ لَه.

يقول الله –تعالى–: ﴿ **وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا * وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا * قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا * لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا * وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا * وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا * هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا** ﴾ [الكهف:32–44]، خطاب من اللهِ ﷻ لنبيِّه محمدٍ ﷺ يطلبُ منه أن يضربَ للكفار مثلَ رجلين من إحدى الأمم السابقة، أحدهما: مؤمن بالله –تباركَ وتعالى–، ومؤمن بالبعث والحساب والجزاء، والثاني: كافر بالله ﷻ ومنكر للبعث والحساب والجزاء، أما الكافر فقد أعطاه الله ﷻ حديقتين من أعناب، وأحاطهما بالنخل، وجعل بينهما زروعاً مختلفة، وهاتان الجنتان كانتا تعطي الثمر والخير الكثير ولم ينقص من ثمرهما شيءٌ، وزاده الله خيراً بأن فجَّر وجعل له بين هاتين الحديقتين نهراً يسقيهما بكل يسر دون تعب ومشقة، وكان لهذا الكافر غير الجنتين مالاً وولداً، فقال لصاحبه المؤمن فيما يجري بينهما من حوار وحديث، قال مفاخراً معتزاً مغروراً أنا أكثر منك مالاً وأعز أولاداً وأنصاراً وأعواناً، ثم دخل جنته

(1) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص814).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج 6/ 224).

التي هي من فضلِ اللهِ –تعالى– عليه، ولكنَّه جَحَدَ فضلَ ربِّهِ ﷻ، دخلها وهو ظالم لنفسه بكفره وجحوده، وقال لستُ أظن ولستُ أرى أن هذه الجنَّة ونعيمها ستهلك وستبيد أبداً، وأنكر البعث والقيام بين يدي الله –تباركَ وتعالى– في الآخرة، فقال وما أظن الساعة قائمة، ولشدة تمرده و جحوده اعتقد أنه لو على سبيل الفَرَضِ بعثهُ اللهُ –جلَّ وعلا– سيكون له من النعيم في الآخرة خير من هذا النعيم الذي بين يديه في الدنيا، وهنا جاء سعيُ صاحبِهِ المؤمن ليهديه إلى الخير بإذن ربِّه، قال له أكفرت بالله –تعالى– الذي خلق أباك الأول من تراب، فأنت من تراب ثم خلقك من نطفة من أبويكَ ثم كمَّلَ خلقَكَ وسوَّاكَ فأصبحت في أبهى صورةٍ ورعاكَ حتى صرتَ رجلاً، ثم قال الرجل المؤمنُ لصاحبِهِ لكنِّي لا أقول ما قلتَ أنتَ، إنما ربيَ اللهُ إلهاً واحداً و لا اشركُ به أحداً من أي المخلوقات كان، فاللهُ ﷻ هو رب الخلائقِ أجمعين، ثم أكملَ نُصْحَهُ لصاحبه الكافر وقال له: لولا أن تقول عند دخول جنتِكَ هذا ما شاءه اللهُ لي، ولا قوة لي على تحصيل هذا النعيم ولا حولٌ لي إلا به ﷻ ، وإن كنتَ ترى أنِّي أقل منك مالاً وولداً، فعسى أن يرزقني اللهُ بنعيمٍ وخيرٍ أعظم من جنتك، ويرسلُ على بستانك عذاباً عقاباً لك من السماء، فتصبح هذه الجنة ملساء ناعمة قاحلة لا شيء فيها، لا تنبت النبات ولا تثبت عليها الأقدام، أو أن يصبحَ ماؤها غائراً في الأرض لا تستطيع الوصول إليه ولا تستطيع طلبه لرَيِّهَا، فتحقق ما قاله المؤمنُ وأصبحت جنَّةُ الكافرِ قاحلة لا خير فيها، فحينها ندم وتحسَّر على ما كان منه من الكفر والجحود بنعمة الله ﷻ، وتمنى لو أنَّه لم يُشرك باللهِ ﷻ، ولما وقع به هذا العقاب لم ينفعه مال ولا أولاد ولا أنصار ولا أعوان، لم يكن أحدٌ ينصره من دونِ الله –تباركَ وتعالى– فلم يكن منتصراً لنفسه لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأنَّ ما يؤمن به المؤمنُ من أنَّ الولاية لله –جلَّ ثناؤه– وأنَّ الله هو الحق، فهو خير ثوابا وخير عاقبة لهم(1).

المطلب السابع: سعي ذي القرنين

الحديث في هذا المطلب عن مَلِكٍ مؤمن بالله ﷻ، يخشى اللهَ ويتقيه، ويرعى رعيته بحقِ اللهِ ﷻ، أتناول موقفاً وحداً من مواقف إحسانِه مع رعِيَّتِهِ، كان فيها ساعياً إلى الخير.

يقول ربُّنَا ﷻ: ﴿ **قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ**

(1) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج1/ 297–298)؛ والحجازي، التفسير الواضح (ج2/ 415–418)، بتصرف.

نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا * فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبًا *قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴾[الكهف:94-98]، جاء أنَّ أهل منطقة من المناطق في زمن ذي القرنين قد اشتكوا من ظُلْم قوم كانوا يمارسون القتل والتخريب والدمار في الأرض، قومٌ مجرمون دفع إجرامهم بأهل المنطقة أن يطلبوا من مَلِكِهِمْ المؤمن العادل أن يساعدهم في وضع بناء عظيم منيع بينهم وبين هؤلاء القوم المجرمين، وقد جاء أنَّهم قوم يأجوج ومأجوج، فعرضَ أهلُ المنطقةِ المالَ على ذي القرنين؛ كي يجعل ذلك السد المنيع حماية لهم من بطش يأجوج ومأجوج، فما كان من هذا المَلِكِ العادل إلا أنْ سعى مع رَعِيَّتِهِ سعياً محموداً، فكان مَلِكاً يؤدي واجباته ومسؤولياته دون أنْ يأخذَ المال مقابل عمله المُناطَ به المطلوب منه، فقال لهم ذو القرنين ما أكرمني اللهُ به من المُلْكِ والسلطانِ والمالِ والتمكين في الأرض، خيرٌ من مالكم هذا، فما أريد منكم سوى أنْ تساعدوني بقوتكم في بناء هذا الحصن المعين فأجعل بينكم هذا البناء العظيم، فطلب منهم أن يأتوا بقطع الحديد وبدؤوا بوضع هذه القطع مكان السد حتى ساوى بهذه القطع بين جانِبَيْ الجبلين اللذين يفصلان بينهم، ثم أمر بنفخ النارِ على هذا الحديد حتى إذا جُعلَ هذا الحديدُ ناراً أمر بالقِطْرِ وهو النحاس المذاب، أمرَ أن يُصَبَّ على هذا الحديد فأصبح سداً منيعاً قوياً أملَساً يمنع يأجوج ومأجوج من الوصول إلى أهل المنطقة المجاورة والإفساد في الأرض، فلمَّا كان هذا السد العظيم المنيع، ما اسطاع يأجوج ومأجوج من الظهور عليه لارتفاعه ولكونه أملساً، وما استطاعوا أن يُحدِثُوا فيه ثقباً ولا خرقاً لشدة صلابته ومناعته، فقال حينها هذا المَلِكُ هذا السدُّ المنيع من رحمة الله بي ومن رحمته بالناسِ وفضلِهِ عليهم، لكنَّ الله –تباركَ وتعالى– سيجعلُ هذا البناء في يومٍ من الأيامِ دَكاً، مسوىً بالأرض، كأن لم يَكُنْ، وسيحدثُ ذلك يوم أن تقترب الساعة، فيقوم يأجوج ومأجوج بهدم هذا السد بمشيئة الله ﷻ؛ لأنَّ وعدَ اللهِ حقٌ، فخروجهم هو علامة وأمارة من أمارات الساعة الكبرى، أعاذنا اللهُ من فتنتهم، وجعلنَا ممن يعتصمون بحبله المتين[1].

في هذا الزمان الذي أصبح يحكم فيه الرويبضة، والطغاة والمتجبرون، الذين سَلَّمُوا أعناقهم لعدو، أعلَن الحربَ على اللهِ ﷻ وطمس دينَهُ، وانتقم من كُلِّ مسلم موحدٍ لله –تباركَ وتعالى– ، وتركوا شعوبهم ورعيتهم يُعانون الأَمَرَّيْن وارتموا في أحضان الغرب، نحن في هذا الواقع المرير بحاجة إلى مَلِكٍ عادلٍ يحكم بحكم الله –تعالى– ويعمل بسنة نبيه ﷺ، مَلِكٍ لا ينام حتى ينام الناس، ولا يشبع حتى يشبع الناس، ولا يمارس حقه كاملا في الحياة حتى يرى رعيته

---

(1) الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ج3/ 285-286) بتصرف؛ وانظر: حومد، أيسر التفاسير (ج722/2-723).

تمارس حقوقها المشروعة كاملة، ملك يخشى الله ويتقيه، يخشى أن يحملَ يوم القيامة لواء غدرٍ فنراه يؤدي أمانته على أكمل وجه، غابت هذه النماذج من الحُكَّامِ عن وجه الأرضِ منذ زمن، لكنَّ الله –جلَّ وعلا– سَيُسَخر لهذا الدين إماماً عادلاً يحكم بشرع الله ﷻ فيكون خير إمام مؤمن عادل محسن يملأ اللهُ على يديه الدنيا خيراً وعدلاً وإحساناً، هذا المهدي الإمام العادل الذي أصبحَ ظهوره قريباً لما رأينا من علامات الساعة التي ذكرها النبي ﷺ في حديثِهِ الشريف قد توفرت أمام ناظرنا في زماننا هذا.

المطلب الثامن: سعي أبي بكر الصديق ﷺ

خليفة المؤمنين وإمامهم، وصاحب رسول الله ﷺ في الهجرة وفي حياة الدعوةِ إلى الله – تباركَ وتعالى– أبو بكر الصديق ﷺ، الذي عُرف في عهده، وتناقلت سيرته الحسنة من زمان إلى آخر، حتى زمانِنَا هذا، وحتى فناء الدنيا، فكيف يطمسُ التاريخُ أحد أعمدة الدعوة الراسخة المتينة؟ وكيف ينساهُ المسلمون وهم يتلون كتاب اللهِ ﷻ، وقد أنزل فيه اللهُ –جلَّ وعلا– قرآنا يُتلى؛ لِحُسْنِ إسلامه وإيمانه وإحسانه، وصِدْقِ أقواله وأفعاله، لقد كان وما زال مثلاً صالحاً يُقتَدَى به، فقد كان سَعْيُهُ كُلُّهُ في أوجه الخير، وابتغاء مرضات الله ﷻ.

يقول الله –تباركَ وتعالى– : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[الليل:5–7]، أي: فأمَّا مِنَ النَّاسِ مَنْ أعْطَى مِنْ ماله وأنفق في سبيل ربِّه ﷻ وخاف أنْ يُخالِفَ أوامرَ اللهِ –تعالى– وخَشِيَ اللهَ ﷻ في السِّر والعلن، وآمنَ وصدَّق باليوم الآخر، والجنَّةِ ونعيمها، ومغفرة اللهِ ﷻ لِمَنْ يستحق المغفرة من عِبَادِهِ، وشفاعة رسول الله ﷺ لمن أَذِنَ اللهُ –تباركَ وتعالى– له، وتيقنَ بأنَّ الله –جلَّ ذكره– سيعطي من أعطى وسيُضاعف له الأجور، فَمَنْ كان حالُهُ كذلك فإنَّ اللهَ –تعالى– يُحبب إليه الإيمان ويزينه ويثبته في قلبه، ويُيَسِّرَ له فعل الطاعات والأعمال الصالحات، على الوجهِ الذي يرتضيه ربُّنا ﷻ [(1)]، وهذه الآيات إنَّما نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ خاصة، وفي المؤمنين أمثاله عامة، "عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، قَالَ أَبُو قُحَافَةَ لِابْنِهِ أَبِي بَكْرٍ: يَا بُنَيَّ أَرَاكَ تَعْتِقُ رِقَابًا ضِعَافًا، فَلَوْ أَنَّكَ إِذْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ أَعْتَقْتَ رِجَالًا جَلَدَةً يَمْنَعُونَكَ وَيَقُومُونَ دُونَكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا أَبَتِ إِنِّي إِنَّمَا أريد ما أُرِيدُ،

(1) ابن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه (ج12/ 8312) بتصرف؛ وانظر: القشيري، لطائف الإشارات = تفسير القشيري (ج736/3)؛ ولجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (912).

قَالَ: فتحدث ما أنزل هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ إِلَّا فِيهِ وَفِيمَا قَالَهُ أَبُوهُ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ"[1].

وبعد أن تحدثت الآيات عن الصنف الآخر من النَّاس الذين يبخلون ويُكَذِّبونَ بالحسنى، وأنَّهم سيصلونَ نار جهنَّم، قال اللهُ ﷻ: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى * ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ * إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾[الليل:17-21]، أيْ أنَّ الله ﷻ يُنَجِّي من النار وعذابها في الآخرة، الأتقى الذي أدى زكاةَ مالِهِ، وأنفقَ مما أعطاه ربُّه – تعالى- من المال فهو يُطهِّر نفسَه من الشُّح، ويُطهِّر نفسَه من الذنوب والمعاصي، ويُنَمِّي في نفسه حُبَّ العطاء والإنفاق، والأتقى عندما يُنفق فإنَّه ينفق؛ لأجل ابتغاء رضا الله –تباركَ وتعالى- وما عنده من الأجر والنعيم، لا ينفق لأجل أن يُجازيَ ولا أن يكافئَ أحداً لمعروفٍ أسداه إليه مسبقاً، أو عطية أُعطيت له قبل ذلك، فهذا الأتقى سوف يُعطيه الله ثوابه وعطاءه في الآخرة ولسوف يرضى بما عند اللهِ ﷻ[2].

وكما سبق فقد أوردنا أنَّ آيات من هذه السورة نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ، "قالَ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ بِلَالًا لَمَّا أَسْلَمَ ذَهَبَ إلى الأصنام فسلح عَلَيْهَا وَكَانَ عَبْدًا لِعَبْدِ اللَّهِ بن جدعان، فشكى إِلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ مَا فَعَلَ، فَوَهَبَهُ لَهُمْ وَمِائَةً مِنَ الْإِبِلِ يَنْحَرُونَهَا لِآلِهَتِهِمْ، فَأَخَذُوهُ وَجَعَلُوا يُعَذِّبُونَهُ فِي الرَّمْضَاءِ وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ، فَمَرَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "يُنْجِيكَ أَحَدٌ أَحَدٌ"، ثُمَّ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ أَنَّ بِلَالًا يُعَذَّبُ فِي اللَّهِ، فَحَمَلَ أَبُو بَكْرٍ رِطْلًا مِنْ ذَهَبٍ فَابْتَاعَهُ بِهِ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: مَا فَعَلَ أَبُو بَكْرٍ ذَلِكَ إِلَّا لِيَدٍ كَانَتْ لِبِلَالٍ عِنْدَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ * إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[الليل: 19-20]"[3].

المطلب التاسع: سعي هُدْهُدُ سليمانَ عليه السلام

كان نبيُّ الله سليمانَ عليه السلام عالي الهمة في دعائه وتوسله إلى ربِّه –تباركَ وتعالى- فالله ﷻ لايردُ من دعاه ولا يُخَيبُ رجاءَ من رجاه، فلمَّا قال سَيدُنا سليمان عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[ص: 35]، أجابَ اللهُ –تعالى- دعاءه وأعطاه النبوة، و ملكاً عظيماً وخيراً واسعاً، حتى إنَّ الله ﷻ علَّمه منطقَ الطير، فكان يفهمُ

(1) الواحدي، أسباب نزول القرآن (456).

(2) ابن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية (ج8320/12-8322) بتصرف؛ وانظر: القشيري، لطائف الإشارات = تفسير القشيري (ج737/3-738).

(3) الواحدي، أسباب نزول القرآن (ص456).

طريقةَ كلامِهِم، ويستطيعُ التكلمَّ مَعَهُم، وكان الإنس والجن في طاعة أمرِهِ ﷺ، قال الله –تعالى– : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النَّمل:16–17].

ويجدرُ بي هنا أن أتحدَّثَ عن سَعْيِ أحدِ جنودِ سليمانَ ﷺ، الذي سعى في درب من دروب الخير والهداية، هذا الجندي ليسَ من الإنسِ ولا مِنَ الجِنِّ، إنما هو من الطيرِ الذي كان يفهمُ سليمانُ ﷺ منطِقَهُ، فكان الهُدهُدُ سبباً من أسباب إسلامِ بلقيسَ وقومها للهِ ﷻ؛ ليكون ذلك دليلاً للمسلم أينما حلَّ بأن يكون همُّه دعوة النَّاس إلى دينِ اللهِ –تباركَ وتعالى–.

يقول اللهُ –جلَّ ثناؤه– : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ۩ * ۞قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ * ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾[النَّمل:20–28]، في يوم من الأيام كان سليمانُ ﷺ وجنودُهُ في بقعة من الأرض، وقد كانوا بحاجة إلى شُربِ الماءِ، فتفقد حينها سليمانُ ﷺ الطيرَ ليرى الهُدهُدَ؛ لأنَّ اللهَ ﷻ بحَوْلِهِ وقوتِهِ قد ميَّزَ الهُدهُدَ بأن جَعَلَه يرى مكان تواجد الماء المخزون في الأرض، فيراه وكأنَّه يرى الشيءَ الظاهرَ المُشاهدَ للجميع، لكنَّه ﷺ لم يجدْ الهُدهُدَ فتوعدَّهُ بالعذابِ الشديدِ بالأسر أو نتف الريش، أو بالذبح والقتل، أو أن يأتيَه الهدهدُ بحجة قوية يحتجَّ بها لغيابه، فغاب الهُدهدُ زماناً يسيراً ولم يُطِلْ، فبدأ الحديثَ بنفسهِ مُخبراً عمَّا رأى، فقال اطلعت ورأيتُ ما لم تره أنت ولا تطلع عليه أنت وجنودك، وقد جئت من مملكة سبأ في اليمن بخبر صادق لاشك فيه، لقد رأيت امرأة حاكمة لهذه المملكة، وقد أعطيت من كُلِّ شيءٍ من القوة والمال وكُلُّ ما يحتاجهُ الملوكُ في ملكهم وتمكينِهِ، ولها عرشٌ عظيم يزخرفه الذهب واللؤلؤ والزبرجد وغيرها مما هو غالٍ وثمين، ثم إني وجدتُ ما هو أعظم من ذلك ويستحق الاهتمام به، فقد رأيت هذه المَلِكة وقومَها يعبدون إلهاً غير الله الواحد الصمد، رأيتهم يسجدون للشمس عند شروقها وغروبها، وقد زيَّن الشيطانُ اللعينُ لهم أعمال كفرهم وشركهم هذه، وصدَّهم وأبعدهم عن سبيل اللهِ –تعالى– سبيلِ الحقِّ والهداية الذي فيه

إخلاص العبادة والسجود لله وحده لا شريك له، اللهُ الذي يعلم كل خبيئة في السماوات والأرض، ويعلم ما هو في السماء من الماء، ويعلم ما في الأرض من النبات، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ويعلم السرَّ والعلن، هو الله الذي لا إله غيره، ولا معبود بحق سواه، رب العرش العظيم، فلمَّا انتهى الهدهدُ من كلِّ من رأى، قال سليمان عليه السلام معقباً على كلامه، سننظر في أمرك وفيما قلت أكنتَ صادقاً أم أنتَ من الكاذبين، فأمرَ سليمانُ عليه السلام الهُدهدَ بأن يذهب بكتابِهِ إلى بلقيسَ فيلْقِهِ إليها ويتَنَحَّى عنها وينظرَ ماذا ستفعل بعد أن تقرأَ كتابَ رسولِ اللهِ سليمانَ عليه السلام [1]، وبعد ذلك جرت أحداث كانت نهايتها أن أسلمت بلقيسُ للهِ ربِّ العالمين، يقولُ اللهُ عز وجل: ﴿ **قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [النَّمل: 44].

إنَّ هذا الطيرَ الذي كان يحملُ أمانةَ دعوةِ النَّاس إلى عبادة اللهِ وحده لا شريك له، لا بُدَّ وأن يكونَ نموذجاً للمسلمين عامة، وللدُّعاة خاصةً، أن يكون نموذجاً حسناً وقدوةً صالحة تذكرهم دوماً بضرورة السعي لدعوة الكفَّارِ والمشركينَ إلى دينِ الله جل جلاله، وكذلك دعوة المُسْلِمِ الذي ضعف إيمانه بالله –جلَّ ذكره–، وأن يكونَ المسلمُ صادقاً في قوله وفعله، وناقلاً للحقيقة دون زيغٍ ولا تحريف.

يظهر من خلال مطالب هذا المبحث مدى جمال أن يسعى الإنسان في طريق الهداية فهو درب الأنبياء –عليهم السلام–، ودرب الصالحين من عباد الله –تعالى–، فهي تثبت السائرين على نفس الدرب، وترشدهم إلى ميادين الخير والصلاح، وتشعرهم بمعية الله عز وجل لمن سلك طريق الاستقامة والفلاح، فيعيش بسعادة في الدنيا، وينال الأجر العظيم في الآخرة.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج184/6–188) بتصرف؛ وانظر: الصابوني، صفوة التفاسير (ج373/2–374).

المبحث الثاني

نماذج من الساعين في طريق الضَّلال

كُلُّ امرئٍ تُخَلَّدُ سيرتُه بحسبَ ما كان عليه، فكما يُخلَّدُ أهلُ الإيمان بِسِيَرِهِمْ العطرة، تُخَلَّدُ سِيَرُ أهلِ الباطلِ والعصيان، فلا يبقى زمانٌ يُتلى فيه كتابُ الله –جلَّ وعلا– إلا ويُقرأ شؤمُ حالِ هؤلاءْ وإعراضُهم عن ربِّهم –تباركَ وتعالى– ومكوثهم في عنادهم للهِ –تعالى–، فينالُ هؤلاء الخزي والعقاب في الدنيا، ويُختمُ لهُم بسوء الختام، ثم مصيرهم إلى عذابٍ أليمٍ مهينٍ على ما كان منهم ومن ضلالهم في الدُّنيا، وهنا ذكرُ بعضٍ من أمثالِهم ذكرهم اللهُ –تباركَ وتعالى– في كتابه الحكيم؛ ليكونوا عبرة وعظة لمن جاء خلفَهم.

المطلب الأول: سعي إبليس في إغواء آدم وحواء –عليهما السلام–

إبليس العدو اللدود لبني آدم ، الذي سعى سعياً ضالاً لإضلال آدم وزوجه حواء –عليهما السلام–، فقد أخرجهما من الجنة، وأخذ على نفسه عهداً أن يغوي ذريتهما حتى تقوم الساعة، وأذكر هنا سعي هذا العدو رغم أنَّه من الجنِّ؛ لكثرة من ينحدرون في طريق الضلال ويتبعون سبلَ الشيطان، ويسعون في إضلال غيرهم من بني آدم .

يقول اللهُ –تعالى–: ﴿ **وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَـٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَـٰلِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ * فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَـٰسِرِينَ * قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ* قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ** ﴾[الأعراف: 19–25]، تتحدثُ الآيات عن خطاب اللهِ –تعالى– لأبينا آدم وأمنا حواء –عليهما السلام– حيث جعل لهما الجنة سكناً ومستقراً ومكان راحة واطمئنان، فقال يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنَّة، فلهما أن يتمتعا بنعيمها ويأكلا من حيث شاءا مما في الجنة من النعيم الذي لا مثيل له، وحذَّرهما من الأكل من شجرة واحدة فقط بألَّا يقربانها، وإلَّا كانا من الظالمين، وهنا جاء دور إبليس اللعين في إغواء آدم وحواء –عليهما السلام– فقد بدأ بالوسوسة لهما وهو ما يصدر من الشيطان من صوت خفي في نفس الإنسان يدعه يقول قولاً ما أو يفعل فعلاً ما ليس فيه رضاً **لله** –تباركَ وتعالى– وكان يريد إبليس منهما

أن تنكشف سوءاتهما وأن يُطردا من نعيم الجنَّة، وقال لهما بخداع ومكر ما نهاكما ربكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا لأحد أمرين: أَلَّا تكونا ملَكين وألَّا تكونا من المخلدين أبداً في الجنّة، وأقسم لهما هذا المخادع أنَّه من الناصحين لهما يريد لهما ما فيه سعادتهما وراحتهما، فأنزلهما وأخرجهما هما ومن سيأتي من ذريتهما مما كانا فيه من النعيم بمكره وخديعته وغروره، فلمَّا ذاقا هذه الشجرة التي نُهِيَا عن الأكل منها انكشفت عورتهما فأخذا يلصقان على أنفسهما من ورق الجنَّة ليسترا سوءاتهما، وهنا ناداهما ربُّهما ﷻ ألم أنهكما عن الأكل من هذه الشجرة، وأقل لكما إنَّ الشيطان لكما عدو بيِّن العداوة لا يريد بكما الخير، فقَالَا مُخَاطِبا الله ﷻ ربنَّا ظلمنا أنفسنا بارتكابنا تلك المعصية وإنَّك إن لم تتب علينا وتغفر لنا ما صدر منَّا نكن من الهالكين، فقال لهم ربُّهما –جلَّ ذكره– اهبطوا واخرجوا من الجنة إلى الأرض بعضكم لبعض عدو أنتم والشيطان أعداء لبعضكم البعض، ولكم في الأرض حياة واستقرار ومتاع حتى وقت انقضاء آجالكم ومفارقة هذه الحياة الدنيا، وفي الأرض تحيون تعيشون فيها ثم يميتكم الله –تعالى– فيها، ومنها يخرجكم مرة أخرى من قبوركم للعرض عليه[1].

إنَّ الشيطان مترصدٌ للإنسان بكل طرقه وفي كل الأوقات والأزمان، فلا بُدَّ أن يستعينَ المؤمنُ باللهِ ﷻ دوماً فلا يكون عوناً للشيطان، ولا يستسلم لوساوسه ومكائده، فإنَّه يسعى جاهداً لإغواء بني آدم أجمعين، ويُسخِّرُ جنوده لذلك، ثم من وقع في شباك الشيطان من بني آدم فإنَّه يُضِلُّ غيره إن لم يهتد.

المطلب الثاني: سعي قابيل في قتل أخيه هابيل

كانت بداية البشرية في أمان وسلام، إلى أن استسلم الإنسان إلى نفسه الأمَّارة بالسوء وإلى عدوه اللدود الشيطان اللعين الذي يسعي سعياً حثيثاً في إضلال بني آدم، كانت جريمة القتل الأولى عندما ارتكبها قابيل بحق أخيه هابيل، وكلاهما أبناء لآدم عليه السلام، فقد قصَّ اللهُ – تعالى– لنا ما حدث بينهما لتكون العبرة والعظة لكل من يتلو هذا القرآن المجيد حتى يوم الدين.

يقول ربُّنا –جلَّ وعلا–: ﴿ **وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ * لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ**

(1) المحلى والسيوطي، تفسير الجلالين(ص195) بتصرف؛ وانظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج220/3-222)؛ والجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ج158/2-160).

فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِىۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ [المائدة:27-31]، في هذه الآيات البينات يُخاطب اللهُ -تبارك وتعالى- نبيه محمداً ﷺ بأن يتلو ويقص على الكفار خبر ابني آدم عليه السلام وهما قابيل وهابيل، وذلك أنَّ الكفار كانوا قد حاولوا محاولات عديدة لقتل النبي ﷺ والقضاء عليه، فباءت محاولاتهم كلها بالفشل، فقد كان رسول الله ﷺ في رعاية الله ﷻ وحفظه، فما حصل من قتل قابيل لأخيه إنما كان من باب الحسد والانتقام منه، فقد كان قابيل له زرع وبستان يهتم بزرعه، وكان هابيل راعياً للأغنام، فقدم كل واحد منهما قرباناً للهِ -تعالى-، وقد كان في شريعتهم من يُقبل قربانه تنزل نار من السماء فتأكل القربان الأفضل، فكان قربان هابيل من أفضل ما يرعى فقد اختار أفضل كبش عنده وقدمه لله ﷻ، وأمَّا قابيل فقد اختار أردأ ما عنده من الزرع فقدمه، فتقبل اللهُ ﷻ قربان هابيل، وهنا دخل الحسد والانتقام في قلب قابيل وأراد أن يتخلصَّ من أخيه، وأظهر لأخيه نيته بأنَّه يريد قتله، فقال هابيل رداً على ذلك إنَّما يتقبل الله من عباده المتقين لله ﷻ، ثم قال إن مددت يدك لتقتلني لن أمد يدي إليك لأقتلك؛ لأنني أخاف وأخشى الله رب العالمين، وأخاف عقابه، ثم إنِّي أريد أن تبوأ وترجع بإثم قتلك إياي، وبإثمك من فعلك للمعاصي والذنوب وحينها ستكون من أصحاب النار الذين يُعذبون فيها جزاءً على سوء أعمالهم وضلالهم في الدنيا، وهذه النار إنما هي جزاء اللهِ ﷻ لعباده الظالمين، فسهَّلت وزينت له نفسُه أمرَ قتل أخيه، فهمَّ بقتله وقتله ثم بعد فعلته الشنيعة هذه أصبح من الخاسرين في الدنيا والآخرة، وكانت هذه الجريمة أول جريمة تقع من فعل الإنسان، فلم يدرِ كيف يفعل بجثة أخيه، وكيف يواريها ويسترها، فبعث اللهُ ﷻ غراباً يحمل جثة غرابٍ ميتٍ ليرى قابيل وينظر كيف يُوارى هذا الغراب الميت، فيواري أخيه هابيل، فبحث في الأرض كما فعل الغرابُ، و وارى جثة أخيه، ثم تحسَّرَ وندم على كلِّ ما فعل وقال أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي![1]

هل ينفع الندم بعد ما كان منه؟ وقد سلك معه أخوه هابيل طريق هداية في حوارهما علَّه يرجع عن قرار القتل! إنَّ أمثال قابيل في حقده وحسده كُثر قد ملأوا هذا الزمان، في زماننا البشع الذي نحياه، الذي ما كان بشعاً إلا بسبب ارتكاب الجريمة فيه دون مراعاة لحق الله ﷻ ولا مراعاة لحق العباد، كم تكررت على أسماعنا جرائم القتل، فمن يقتل ابنه ومن يقتل أبيه ومن تقتل زوجها ومن تقتل أمها ومن يقتل عمه ومن يقتل ابن أخيه ومن يقتل نفسه ومن يقتل

---

(1) المحلي والسيوطي، الجلالين، (ص141) بتصرف؛ وانظر: الشوكاني، فتح القدير (ج36/2-38)؛ والجزائري، أيسر التفاسير (ج619/1-621).

جاره!! لقد هانت على هؤلاء الناس تلك الأرواح الزكية بعدما هان عليهم أمر دينهم أولاً، والله إنَّ القلب ليحترق ألماً على حال هذه الأمة التي تاهت في غياهب الجهل والضلال، وعمَّها الظلم والفساد، يرجو فيها الصالحون أنَّ يمنَّ اللهُ على أمة الإسلام بأناس يحملون إيماناً صادقا في قلوبهم، يعيدون لهذا الدين هيبته و وقاره، ويعمَّ الأمن والأمان والعدل وكل معاني الإسلام الجديدة، وأحسب أنَّ عهد العدل والأمان والإسلام ليس ببعيد عنَّا فقد اقترب وقته بعدما مُلئت هذه الأرض بالظلم والفساد والجريمة.

المطلب الثالث: سعي قوم سيدنا صالح عليه السلام في عقر الناقة

بعثَ اللهُ ﷻ جميع الأنبياء والرسل –عليهم السلام– بعقيدة التوحيد، وقد أيَّدَ اللهُ ﷻ رسلَه بمعجزات دالة على صدقهم، وأنَّهم مبعوثون من عند اللهِ –تباركَ وتعالى–، وهنا أعرض موقف قوم سيدنا صالح عليه السلام، الذين تمادوا في العصيان والضلال فسعوا سعياً فاسداً خبيثاً وعقروا ناقة اللهِ –تعالى– التي جعلها لهم آية.

يقول اللهُ ﷻ: ﴿ **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ * قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ * فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ * فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ** ﴾ [الأعراف:73–79]، لقد أرسل اللهُ –تعالى– نبيَّه صالحاً عليه السلام إلى قوم ثمود داعياً لهم؛ لعبادة الله وحده لا شريك له، فاللهُ ﷻ هو الإله المستحق للعبادة وحده، وقد جاءهم سيدنا صالح عليه السلام بمعجزة وآية وسلطان من الله –تباركَ وتعالى– دليلاً على صدقه، فقد جعل الله ﷻ معجزته ناقة لها يوم تشرب فيه الماء ويشرب القوم لبنها، واليوم الثاني يشرب القوم من الماء دون شرب الناقة منه، فعليهم أن يشربوا في يوم شربهم، وأن يدعوا الناقة تشرب في يومها، وقد يسَّرَ اللهُ –تعالى– عليهم أمرها، فليس على القوم رزقها ولا مؤونتها، وعليهم ألا يمسوها بسوء حتى لا يأخذهم عذابُ اللهِ –تعالى–، وقد ذكَّرهم نبيهم عليه السلام بنعم اللهِ ﷻ عليهم فقد جعلهم خلفاء الأرض بعد قوم عاد، وقد بسط الله لهم الأرض فهم يبنون فيها في سهولها قصوراً،

وينحتون لهم في الجبال بيوتاً، فقال لهم اذكروا نعمَ الله هذه ولا تسعوا في الأرض بالفساد، ثم خاطب المستكبرون المستضعفين وقالوا لهم أتعلمون أنَّ صالحاً مرسل من عند ربِّه؟ فما كان من المستضعفين إلا إقرارهم على إيمانهم بنبينا صالح عليه السلام، وقد أصرَّ الكافرون على كفرهم وتآمروا فيما بينهم على عقر النَّاقة فعقروها واستكبروا على أمر اللهِ –تعالى–، وطلبوا من نبيِّ اللهِ صالح عليه السلام أن يأتيهم بعذاب اللهِ إن كان هو صادقاً وأنَّه من المرسَلين، فأخذهم عذاب الله –تعالى– بالرجفة الزلزلة الشديدة حتى أصبحوا في ديارهم خامدين ميتين لا حراك لهم، ثمَّ أعرضَ عنهم سيدنا صالح عليه السلام وقال مخاطباً لهم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين، خاطبهم وهم موتى، كما خاطب النبيُّ محمد ﷺ قتلى البدر أهل القليب[1].

المطلب الرابع: سعي النمروذُ بن كنعان

في زمن دعوةِ سيدِنا إبراهيمَ عليه السلام قومِه إلى عبادةِ اللهِ سبحانه وتعالى إلهاً واحداً لا شريكَ له ولاندَ ولا مماثلَ، كان هناك مَلِكٌ اعترض دعوةَ إبراهيم عليه السلام، وأنكرَ عليهِ دعوته هذه، وأخذه طغيانه وجبروته إلى الكفرِ بدعوة نبيِّ اللهِ –تعالى– إبراهيم عليه السلام، ثُمَّ إنَّ محاجةً حدثت بين نبيِّ اللهِ ﷺ، وبين عدوِ اللهِ –تعالى–، دُهشَ فيها هذا الظالمُ المُتَجَبِّر.

يقولُ الله جل جلاله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[البقرة:258]، يُبيِّنُ اللهُ جل جلاله لنا ما دارَ بين إبراهيم عليه السلام، وبينَ الطاغية النمروذ وهو كما قال مجاهد" نَمْرُوذُ بْنُ كَنْعَانَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَجَبَّرَ وَادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ"[2]، من خلال هذا الخطابِ المُوَجَّهِ من الله –تعالى– للنبيِّ محمدٍ ﷺ، والرؤية هنا في قوله: (أَلَمْ تَرَ) رؤية قلبية، وهذه اللفظة (أَلَمْ) إنَّما هي لفظة استفهام، ولكنَّها هنا تفيد إحداث التعجب عند المخاطَب بها عندما يسمعها، أي: ألم تر يا محمد بقلبك إلى ذلك المتجبر الطاغية الظالم المعاند الكافر باللهِ –تعالى– الذي جادلَ نبيَّ اللهِ إبراهيم عليه السلام، وهذه المجادلة كانت في الله، في ربِّ إبراهيم عليه السلام، حيث إنَّ النمروذ لم يكن مؤمناً باللهِ –تباركَ وتعالى– ، وقد أعطى اللهُ ﷻ للنمروذ مُلكَاً ومالاً وسلطاناً وقوةً، إلا أنَّه بطرَ وجحد هذه النِّعمَ

(1) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص ص400–401) بتصرف؛ وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج3/440–444)؛ والسعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ص294–295).

(2) الرازي، مفاتيح الغيب (ج7/ 20).

كلَّها وكفرَ بالمُنْعِمِ ﷻ؛ لِمَا رأى من نفسِه أنَّه مكثَ في ملكه أربعمائة سنة، وهذه المجادلة والمحاجة قيل: إنَّها حدثت بعد تكسير الأصنام على يد إبراهيم عليه السلام وقبل أن يُلقى في النَّار، وقيل: إنَّما كانت بعد أن أُلْقِيَ إبراهيم عليه السلام في النَّار وأُخْرِجَ منها، وهنا كأنَّ سؤالاً وُجِّه من النمروذ إلى إبراهيم عليه السلام، أي إن كُنتَ تدعو إلى عبادة ربِّكَ، فمن هو ربُّكَ يا إبراهيم؟ فأجاب إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ أيْ أنَّه هو الذي يخلق الإنسان وكلَّ المخلوقات من العدم واللا شيء، ثم يصوره ويجعله في أحسن صورة ويبث فيه الروح والحياة فيكون حياً بإذن اللهِ –تعالى–، وهو الذي يُميت المخلوقات فينزع منها الروح فتصبحَ جثثاً هامدةً لا حراكَ لها، ثم تفنى فناءً تامَّاً وكأنَّها لم تك يوماً على قيد الحياة، فلمَّا سمع النمروذُ هذا القولَ قال: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ فقال البعضُ: إنَّ النمروذَ إنَّما أتى برجلين قد استحق كُلٌّ منهما الإعدام والقتل، فأمر بقتل أحدهما وأمر بإبقاء الآخر على قيد الحياة؛ لكنَّ آخرون ردُّوا على هذا القول بقولهم: "وَالظَّاهِرُ –وَاللَّهُ أَعْلَمُ–أَنَّهُ مَا أَرَادَ هَذَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ جَوَابًا لِمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَلَا فِي مَعْنَاهُ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَانِعٍ لِوُجُودِ الصَّانِعِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ يَدّعي لِنَفْسِهِ هَذَا الْمَقَامَ عِنَادًا وَمُكَابَرَةً وَيُوهِمُ أَنَّهُ الْفَاعِلُ لِذَلِكَ وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُحَيِّي وَيُمِيتُ، كَمَا اقْتَدَى بِهِ فِرْعَوْنُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِى﴾"[1]، ثمَّ ردَّ إبراهيمُ عليه السلام على معاندته، بأنْ جاءه بحجةٍ لا يستطيعُ النَّمروذُ أن يأتيَ بحجةٍ تقابلها، فقال له إن كنت تدعي بأنَّك تحيي وتميت، فإنَّ من يقدر على الإحياء والإماتة هو الذي يستطيع أن يتصرف في هذا الكون وفي كل أموره، وهو الذي خلقَ فأبدعَ هذا الكون وأحكم صنعَه، فإنَّ ربِّي ﷻ مبدع هذا الكون يأتي بالشمس من المشرق، فأتِ أنت بها من المغرب إن كنتَ تدعي الربوبية، هنا صمتَ هذا الطاغية وأُخرِسَ ودُهِشَ مما سمع؛ لقوة حُجَّةِ إبراهيم عليه السلام، وأنَّ النَّمروذ لاحجَّةَ له، وما عَلِمَ هذا الطاغية من قبل أنَّ الله –تباركَ وتعالى– لايهدي الكافرين والظالمين إلى حُجَّةٍ ولا برهان، وبقيَ هذا الظالم على عنادهِ وكفرِهِ باللهِ –تباركَ وتعالى– حتى سلَّط اللهُ عز وجل عليه مخلوقاً ضعيفاً كان بمشيئة الله –تعالى– سبب هلاكه، بأنْ جعلَ اللهُ ﷻ ذبابةً تدخلُ في أنفه وتستقر في أنفه، فأصبح يضربُ برأسه طيلة حياتِهِ لما يجد من ألم، حتى أهلكهُ اللهُ سبحانه وتعالى بها[2].

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/ 686).

(2) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص184) بتصرف؛ وانظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج7/20–22)؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/686– 687)؛ والمحلى والسيوطي، تفسير الجلالين (ص57).

وأستحضر هنا ما حدث مع رئيس وزراء الكيان الصهيوني آرئيل شارون، الذي أذاق الشعب الفلسطيني أشدَّ الألم والعذاب؛ لغلاظته وجبروته واستخدامه أقسى وأشنع الوسائل في إيلام أبناء هذا الشعب، وحتى في قصفه للحجر، واقتلاعه للشجر، هذا الظالم الذي ما فتئ أبناء هذا الشعب يدعون عليه بحرقة في قلوبهم، حتى جاءه أمرُ الله الذي هو أقوى من كل قوي، فأرداه المرض طريحَ الفراش، لا يقوى على تحريكِ جسده، ثُمَّ أُدخلَ في غيبوبة حتى الموت، فكما آلمَ هذا الشعب وعنَّفَه، اقتصَّ الله منه وعاش في آلامه سنيناً طويلة، حتى أتاه الموت لينتقل من ألم المرض وجحيمه في الدنيا، إلى آلام الآخرة المريرة الشنيعة التي يستحقها، وهذه هي نهاية كُلِّ ظالم فاسد طاغية، عذاب في الدنيا، ثم عذابٌ دائم شنيع في الآخرة، فاللهُ – الواحد القهَّار – يُمهِلُ الظالمينَ ولكن لا يُهْمِلُهُم.

المطلب الخامس: سعي أخوة سيدنا يوسف ﵇

يدفعُ حسدُ الإنسان وغيرته من غيره للانتقام من صاحب النعمة، فيُقدم على الانتقام مهما كان نوعه، ومهما كانت طريقته، ومهما كانت صلة القرابة بين صاحب النعمة والمنتقِم، تماماً كما حصلَ مع إخوة يوسف ﵇ الذين أضمروا في أنفسهم الحقد على أخيهم، وعزموا على الانتقام منه، وهذا ما يتضمنه هذا المطلب.

يقول الله –تعالى–: ﴿ ۞لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ * إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ * ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضٗا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمٗا صَٰلِحِينَ * قَالَ قَآئِلٞ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ * قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدٗا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ * قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ * فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءٗ يَبْكُونَ * قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٖ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ * وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرٗاۖ فَصَبْرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ * وَجَآءَتْ سَيَّارَةٞ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ * وَشَرَوْهُ بِثَمَنِۭ بَخْسٖ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾[يوسف: 7–20]، يؤكد الله – تعالى– في هذه الآيات أنَّ في قصة يوسف ﵇ عبر وعظات مهمات بليغات للسائلين عن هذه القصة، حيث

إنَّهم قالوا فيما بينهم: إنَّ أبيهم قد ضلَّ في حبهم وحب يوسف وأخيه، فيوسف وأخيه أحبُّ إلى أبيهم منهم رغم كونهم صغاراً وهم جماعة أصحاب قوة وينفعون في المهمات، ولمَّا تداولوا هذا الحديث بينهم ولاسيما بعد معرفتهم بأمر الرؤيا التي رآها يوسف عليه السلام في منامه، وما تحمله من الخير العظيم والمكانة الرفيعة ليوسف عليه السلام اتفقوا على الانتقام من أخيهم حتى ينفردوا بحب أبيهم لهم فلا يرى غيرهم، ثم يتوبوا إلى الله –تعالى– بعد فعلتهم هذه، فقالوا اقتلوه أو اطرحوه أرضاً، فقال قائل منهم لا تقتلوه بل ألقوه في ظلمات البئر، إنَّما المقصد أن يخلو لكم وجه أبيكم، فلم يقترفوا جريمة القتل الشنيعة، وقالوا: عندما نلقيه في ظلمات البئر يلتقطه بعض السيارة، فلمَّا أجمعوا على هذا الأمر، قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنَّا له ناصحون حافظون، أرسله معنا غداً يمرح ويأكل وإنَّا له أمناء حافظون، فأبدى لهم أبوهم خوفه على أخيهم وأنَّه يخشى عليه من الذئب أن يأكله وهم في غفلة عنه، ثم ردُّوا على ذلك ووصفوا أنفسهم بالخسران وأنَّهم لايُعتدُّ بهم إذا أخذوه وأكله الذئب، فلمَّا وافق أبوهم على أن يأخذوه اتفقوا على أن يجعلهم في ظلمات البئر، وقد بيَّنَ اللهُ –تعالى أنَّه أوحى ليوسف عليه السلام أنَّه سيأتي وقت ويُخبر إخوته بما فعلوا به، ثم جاؤوا في وقت مخالطة ضوء النهار لعتمة الليل يتظاهرون بالبكاء والخوف مما حصل، وقالوا: إنَّهم ذهبوا للسباق وتركوا يوسف عند متاعهم لكي يحرسها لهم، لكونه لا يقوى على السباق معهم فهم كبار أقوياء، فلمَّا تركوه عند متاعهم أكله الذئب، ثمَّ بينوا لأبيهم أنَّه لن يصدقهم حتى ولو كانوا صادقين، وجاؤوا على قميصه بدم كذب ليتموا حيلتهم وخدعتهم، فقال لهم أبوهم إنَّما زينت لكم أنفسكم أمراً فليس لي سوى الصبر الجميل الذي لا يأس ولا شكوى فيه، واللهُ المستعان على ما تصفون، وجاءت بعد ذلك جماعة من الناس مرُّوا من البئر الذي ألقي فيه سيدنا يوسف عليه السلام فلمَّا وارد الماء أدلى دلوه تشبث به يوسف عليه السلام فلمَّا رآه استبشر خيراً وأخفاه معه بضاعة، والله عليم بما يعملون جميعهم، ثم باعوه بثمن زهيد قليل[1].

وقد تميز هذا المطلب بأن أخوة يوسف عليه السلام في نهاية القصة أقروا بفعلهم وطلبوا المغفرة، أما باقي المطالب فكانت عاقبة الساعين الهلاك.

---

(1) المراغي، تفسير المراغي (ج116/12–124) بتصرف؛ وانظر: الحجازي، التفسير الواضح (ج161/2–167).

المطلب السادس: سعي قارُوْن

حديثنا عن متكبِّرٍ آخرَ من أولئك الذين تكبَّرُوا في الأرض، وعَتَوا فيها يحسبُونَ أنَّهم قد جاؤوا بهذا الملك والعطاء من عند أنفسِهِم، وأنَّهم أفضل من النَّاسِ مكانة، وأكثر رفعة، فكانت عاقبة تكبره وعتوه الخسران والعذاب.

يقول ربُّنا –جلَّ ذكره– : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ * وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًاۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ * تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًاۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [القصص:76–84]، هذه الآيات تذكرُ لنا ما حدث مع قارُوْنَ وكيف كان حاله وكيف أصبح مآله، قارُوْن هو ابن عم نبي الله موسى عليه السلام، فهو إذاً من بني إسرائيل، بغى على قومه بالتجبر والطغيان وكثرة أمواله، وقد آتاه الله جل جلاله مالاً عظيماً، حتى إنَّه من كثرة ماله وكنوزه التي هي من عندِ اللهِ –تعالى–، كانت لها خزائن وهذه الخزائن لها مفاتيح، فكانت الجماعة من الرجال الأقوياء لا يستطيعون حمل مفاتحه تلك لثِقَلِها وكثرتها، هذه المفاتيح فحسب، كيف بالخزائن التي تحوي الأموال تلك! وقد كان أناسٌ من قومِه ينصحون له، فقالوا له لا تفرح إنَّ اللهَ لا يحب الفرحين، الأَشِرِيْنَ البَطِرِيْنَ الذين لا يُقابِلُون نعمَ الله بالحمد والشكر والإحسان، بل يُقابلونها بالعصيان والكُفران، وأكملوا نصيحتهم له فقالوا: واطلب وابتغِ في هذا الملك والمال والقوة والنعيم الذي أكرمك اللهُ جل جلاله به الدار الآخرة، فاغتنمها في طاعة الله –تعالى–، وأداء حقِّ الله –جلَّ وعلا– فيها، فتفوزَ في الدنيا برضا الله عز وجل عليك، وفي الآخرة بالفوز بنعيمه الذي لا يفنى، وفي

نفس الوقت لاتنسَ أن تأخذَ من متاعِ الدُّنيا بقدر ما يُرضِي اللهَ –جلَّ ذكره–، وأحسن في انقيادكَ لأمرِ الله –تعالى– وأحسَن إلى عبادِ اللهِ، كما أحسنَ اللهُ إليكَ وأعطاك هذا النعيمَ كلَّه، ولا يكن همك الإفساد في الأرض والتكبر فيها والعتو؛ فإنَّ الله لا يُحبُّ المُفْسِدِيْنَ، فما كان جوابُه إلا أن قال إنَّما أوتيت هذا المال وأعطاني اللهُ إياه، لعلمِهِ أنِّي أستحقه ولِرِضاهُ عنِّيْ ولأني أهلٌ لهذا الملك والنعيم؛ لذا قال اللهُ –تعالى– بعد مقولة قارُون السخيفة، أولم يعلم هذا الطاغية أنَّ اللهَ –جلَّ ثناؤه– قد أهلك أقواماً كانوا من قبل عهدِ قارون وقد كانوا أكثر من قارون قوة ومالاً ونعيماً ومنعةً، لكنَّ اللهَ –الواحد القهار– قد أهلكهم وأخذهم بذنوبهم، وهؤلاء المجرمون لا يُسألونَ عن ذنوبهم لكثْرَتِهَا، فخرجَ قارُون في يومٍ من الأيامِ في زينتِهِ وملكه، خرجَ ومعه الجنود والخدم، ويركبون المراكب الدالةِ على مُلْكِهِ، وعليه من الملابس الفاخرة، خرجَ متفاخِراً متكَبِّراً، فلمَّا رآه النَّاسُ، تمنَّى ضعفاءُ الإيمان الذين يؤثرون الحياة الدنيا وزينتَها لو أنَّ لديهم من الملك والمال كما أوتي قارون، وقالوا إنَّه لذو حظ عظيم لِمَا حَازَهُ من نعيمِ الدُّنيا الهائلِ، في حين قال أصحاب القلوب المؤمنة المتصلة باللهِ –تعالى– الذين آتاهم اللهُ ﷻ العلمَ النافعَ قالوا لمن أرادوا نعيم الدنيا ويلكم ما عندَ اللهِ من نعيم الآخرة السرمدي الذي لا يفنى، ومن رضاهُ عنكم في الدنيا خيرٌ لمن آمن باللهِ –تعالى– وحده، وعَمِلَ أعمالاً صالحةً يرجو بها الله ﷻ، خيرٌ من هذا الملك الزائل، ثم قال تعالى ولا يلقَّاها إلا الصابرون، أي: لا يوفق لقول هذه المقولة إلا من صبر على طاعة الله ﷻ، أو أنَّ المعنى: ولا يُلَقَّى نعيم الآخرة إلا من آمن وصبر على طاعة ربِّه، ثم ذكرَ اللهُ –تباركَ وتعالى– ما حدث مع هذا المُتَجَبِّر من العذاب، فقد خسف اللهُ ﷻ بهِ وبداره الأرضَ، فلم يكن أحدٌ ناصرٌ له من دونِ اللهِ ﷻ، فلم ينفعه مال ولا قوة ولا جنود ولا خدم ولا كنوز ولا مراكب ولا حتى نفسه، لم يعصمه شيءٌ من ذلك من عقاب اللهِ وعذابِه، فلمَّا حصلَ بهِ ذلك، قال أولئك الذين تمنوا مُلْكَ قارُون ويكأنَّ اللهَ يعطي رزقَهُ لمنْ يشاء من عباده، فهو المعطي وهو المانع و هو القابض وهو الباسط، وليسَ كُلُ من آتاه اللهُ ملكاً يعني أنَّه قد نالَ الرضا من اللهِ –تعالى–، وقالوا لولا رحمة الله بنا وإحسانه إلينا لخسف بنا الأرضَ كما فعلَ بقارون لأنَّنا تمنينا ما كان عليه قبل الخسف، ويكأنَّه لا يفلح الكافرون، أولئك الذين يكفرون بالله –تعالى– ويجحدون نعمه لا فلاحَ لهم ولا فوزَ لهم لا في الدنيا ولا في الآخرة، إنَّما الفلاح للمؤمنين المتقين، ثمَّ قال ربُّنا ﷻ تلك الدار الآخرة وملكها ونعيمها ومتاعها يجعله الله ﷻ لعباده الذين لا يريدون التجبر والتكبر والعلو في الارض، ولا يريدون فساداً بعمل المعاصي وأخذ المال بغير وجه حق، والعاقبة الحسنة والفلاح للمتقين، من جاء بالحسنة فله خيرٌ منها

أضعاف مضاعفة عند الله –تعالى–، ومن جاء بالسيئة فلا يُجزى إلا بما كان يعمل في الدنيا، ولا يظلم ربُّنا ﷻ أحداً[1].

قد جاءت في الآيات كلمة (ويكأنَّ)، وقد تعددت المعاني فيها على الوجه الآتي: "قَالَ بَعْضُهُمْ مَعْنَاهَا: "وَيْلَكَ اعْلَمْ أَنَّ"، وَلَكِنْ خُفِّفت فَقِيلَ: "وَيْكَ"، ودلَّ فَتْحُ "أَنَّ" عَلَى حَذْفِ "اعْلَمْ". وَهَذَا الْقَوْلُ ضعَّفه ابْنُ جَرِيرٍ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ قَوِيٌّ، وَقِيلَ مَعْنَاهَا: وَيْكَأَنَّ، أَيْ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ، قَالَهُ قَتَادَةُ، وَقِيلَ مَعْنَاهَا "وَيْ كَأَنَّ"، فَفَصَلَهَا وَجَعَلَ حَرْفَ "وَيْ" لِلتَّعَجُّبِ أَوْ لِلتَّنْبِيهِ، وَ "كَأَنَّ" بِمَعْنَى "أَظُنُّ وَأَحْسَبُ"، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَأَقْوَى الْأَقْوَالِ فِي هَذَا قَوْلُ قَتَادَةَ: إِنَّهَا بِمَعْنَى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ[2].

المطلب السابع: سعي أصحابُ الأُخْدُوْد

جريمةٌ شنيعةٌ وسعيٌ مذمومٌ قبيحٌ، يلحقُ بأناسٍ ليس لهم ذنبٌ سوى أنَّهم يؤمنون باللهِ الواحدِ الأحدِ الصَّمَدِ، ويُعظِّمُونَ اللهَ خالِقَهم، ويأبون أن يستبدِلُوا نورَ هدايةِ اللهِ –تعالى– بظلمة الكفر، وأصحابُ هذه الجريمة هم أصحاب الأخدود.

يقول الله ﷻ: ﴿ **قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ * ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ * إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ * وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ * وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ * ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ** ﴾ [البروج:4–10]، لعنَ اللهُ –تباركَ وتعالى– أصحاب الأخدود، فَطَرَدَهُم من رحمته، وهم قوم كفروا باللهِ –تعالى–، وعبدوا إلهاً آخرَ غير الله ﷻ، إلهاً لا يستحق العبادة، فلا أحدٌ يستحق العبادة وإفراده بها سوى الله ﷻ، هؤلاء عبدوا الأصنام، وليسَ ذلك فحسب، إنَّما عذَّبُوا كُلَّ مؤمنٍ بالله –جلَّ وعلا– فقاموا بجريمة حمقاء بأن جعلوا شقاً في الأرض، أي حفروا حفرة في الأرض وأضرموا فيها النَّار، وألقوا فيها كُلَّ من يؤمنُ بالله ﷻ، يحسبون بذلك أنَّهم يَصدُّونَ أولئك المؤمنين عن دِينِهم، فما صدَّ هذا العذابُ مؤمناً عن إيمانه، فكانوا مؤمنين بحقٍ مطمئنين إلى أنَّ نعيم الآخرة أجمل وأمتع من أن ينجوا من حريق الدُّنيا، ولقد كان –أصحابُ الأخدود– شاهدين على جريمتِهم بأنَّهم كانوا يقعدون على حواف الأخدود يشاهدون ما يحصلُ بالمؤمنين من الإحراق بالنَّار الملتهبة وصَدِّهم عن الإيمان

---

(1) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص ص825–826) بتصرف؛ وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج6/253–259)؛ والسعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ص623–624).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج6/ 258).

باللهِ –تعالى–، وما أنكرَ هؤلاء الكفار على المؤمنين فعلاً سوى أنَّهم يؤمنون بالله العزيز في ملكه الحميد المحمود، الذي له ملك السماوات والأرض والله على كلٌّ شيء شهيد، شهيد على ما يفعل هؤلاء الكفار، وشهيد على ما في قلوب المؤمنين، وعلى العذاب الأليم الذي يتجرَّعونه وهم يُحرقون في النَّار، ثُمَّ بيَّنَ اللهُ ﷻ عقاب هؤلاء الذين يفتنون المؤمنين عن دينهم ولم يتوبوا ويعودوا إلى اللهِ –تعالى– بالإيمان والتوبة وطلب الغفران، فأولئك لهم عذاب جهنَّم الشنيع في الآخرة ولهم عذاب الحريق أيضا بما أحرقوا المؤمنين في الدُّنيا[1].

إنَّ ما حصل مع هؤلاء المؤمنين على أيدي الكفار القتلة، نراه في واقعنا الذي نحياه، فنرى البوذيين الذين كفروا بالله –تعالى– يقومون بتعذيب إخواننا المسلمين في بورما، وهي ما تعرف باسم "جمهورية اتحاد ميانمار" والتي انفصلت عن الهند، فإنَّهم يُعَذِّبونَ بالحرق بالنَّار، فكم من مجازر شنيعة أقيمت بحق عبادٍ للهِ ﷻ، ليس لهم ذنب سوى أنهم يقولوا ربُّنا الله، فهؤلاء المؤمنون القابضون على دينهم حتماً لهم النَّجاة في الآخرة، وأمَّا أولئك الطغاة فلهم عذاب في الدنيا ثم عذاب مقيم في الآخرة، ما لم يؤمنوا ويعودوا إلى خالقِهِم –تباركَ وتعالى–.

المطلب الثامن: سعي كفار مكة

منذ أن عُرِف أمرُ النبي محمد ﷺ وكفار مكة يبطنون ويظهرون له العداء، ويحاولون إيذاءه وإلحاق الضرر به ومن معه من المؤمنين؛ للقضاء على هذا الدين والحيلولة دون انتشاره، وكان تفكيرهم يتجه نحو التخلص والانتقام من النبي ﷺ أمين هذه الدعوة، وركنها الأساسي، وربان السفينة، فإذا ما تمَّ التخلص منه فقد قضي على أمر هذا الدين، وهنا أعرض لموقف واحد من مواقفهم التي اجتمعوا فيها للقضاء على رسول الله ﷺ.

يقول الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال:30]، في هذه الآية يُذكِّر اللهُ –تباركَ وتعالى– نبيَّه محمداً ﷺ بما كان من الكفار الذين اجتمعوا على أمر الانتقام والخلاص منه بالتخطيط لذلك بالخفاء وإيقاع المكيدة والهلاك بالنبي ﷺ، وذلك الكيد كان بإحدى أمور ثلاثة وهي: السجن والقيد فيمنعوه من التواصل مع النَّاس وتبليغ دين الإسلام، أو الخلاص منه بالقتل بطريقة يتفقوا عليها فيما بينهم، وإما ينفوه من الأرض التي هو فيها فيحولوا بينه وبين قومه، لكنَّ الله ﷻ قد

(1) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص ص1189–1190) بتصرف؛ وانظر: المحلى والسيوطي، تفسير الجلالين (ص801).

حفظ نبيَّه من كيد الكائدين، وجنَّبَه شرهم وفسادهم، ومكر بهم بأن أبطل مكرهم، فلا أحد يعلو فوق اللهِ –جلَّ ذكره– ولا فوق حكمه وأمره[1].

وتحدثت السيرة النبوية للنبي المصطفى ﷺ عن اجتماع ضمَّ عدداً من نواب قبائل قريش لأجل المكيدة للنبيِّ ﷺ، وكان قد حضر اجتماعهم إبليس فقد جاء على هيئة شيخ نجدي، ودار بينهم هذا الحوار: " قال أبو الأسود –زمعة بن الأسود–: نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا، ولا نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، فقد أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت.

قال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب، ثم يسير بهم إليكم– بعد أن يتابعوه– حتى يطأكم بهم في بلادكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دبروا فيه رأياً غير هذا.

قال أبو البختري بن هشام: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه باباً، ثم تربصوا به ما أصاب أمثاله من الشعراء الذين كانوا قبله– زهيراً والنابغة– ومن مضى منهم من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم.

قال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه– كما تقولون– ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم، فينزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به، حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره.

وبعد أن رفض البرلمان هذين الاقتراحين قُدم إليه اقتراح آثم وافق عليه جميع أعضائه، تقدم به كبير مجرمي مكة أبو جهل بن هشام. قال أبو جهل: والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل، فعقلناه لهم.

قال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا أرى غيره، ووافق برلمان مكة على هذا الاقتراح الآثم بالإجماع، ورجع النواب إلى بيوتهم، وقد صمموا على تنفيذ هذا القرار فورا"[2]، لكنَّ اتفاقهم هذا لم يقع كما خططوا له، فقد أخرج اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ من بين

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج43/4) بتصرف؛ وانظر: المراغي، تفسير المراغي (ج197/9–198).
(2) المباركفوري، الرحيق المختوم (ص ص 119–120).

أيديهم دون أن يروه، فقد أعماهم اللهُ -تعالى- عن النبي ﷺ، وخرج مهاجراً إلى المدينة المنورة دون أن يمسَّه أي سوء، فقد كانت تحفه عناية الرحمن في كل وقت.

المطلب التاسع: سعي أبي لهب وزوجته

ابتُلي النبيُّ ﷺ بعداء أقرب الناس إليه، مثل أهل قبيلته ولا سيما أعمامه، وكان ممن يقف في وجه دعوة رسول الله ﷺ عمه أبو لهب، وكذلك زوجته أم جميل، فلم يُقصِّرا في صدِّه وشتمه، وقد أنزل الله -تعالى- سورة المسد في شأن أبي لهب وزوجته.

يقول اللهُ ﷻ: ﴿ **تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ** ﴾ [المسد: 1-5]، جاء في سبب نزول هذه السورة "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله ﷺ ذات يوم الصفا فقال: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش فقالوا له: مالك؟ فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى، قال: "**فإني نذير لكم بين يدى عذاب شديد**"، فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا دعوتنا جمعيا؟! فأنزل الله ﷻ ﴿ **تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** ﴾ إلى آخرها"[1].

افتتحت السورة ببيان هلاك وخسران أبي لهب، الذي كان يعترض النبي ﷺ ويصده عن دعوته، فقد كان خوَّفه النبيُّ ﷺ من عذاب الله -تعالى- فما كان منه إلا أن قال إن كان ما يقوله ابن أخي صواباً وحقاً فإني أفتدي منه بمالي وولدي، فبيَّن اللهُ -تباركَ وتعالى- أنَّه لن يغني عن هذا الكافر ماله ولا ولده، بل سيكون مصيره ناراً شديدة الحر ذات لهب، سيصلاها هو وزوجته التي كانت تشاركه العداء، وهي أم جميل التي كانت تؤذي النبيَّ ﷺ بلسانها السليط، فهي يوم القيامة في عنقها سلسلة من حديد تُعذب بها[2].

وقد أظهرت السيرة النبوية مواقف عداء أبي لهب وزوجته للنبيِّ ﷺ، ومن ذلك: " أول ما فعل رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ** ﴾ أنه دعا بني هاشم فحضروا، ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف، فكانوا خمسة وأربعين رجلاً، فبادره أبو لهب وقال: هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك فتكلم ودع الصباة، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وأنا أحق من أخذك، فحسبك بنو أبيك، وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر

---

(1) الواحدي، أسباب نزول القرآن (ص469).

(2) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص ص1239-1240)، بتصرف.

عليهم من أن يثب بك بطون قريش، وتمدهم العرب، فما رأيت أحدا جاء على بني أبيه بشر مما جئت به، فسكت رسول الله ﷺ، ولم يتكلم في ذلك المجلس"[1]، وقد كان أبو لهب " يجول خلف النبي ﷺ في موسم الحجِّ والأسواق لتكذيبه، وقد روي أنَّه كان لايقتصر على التكذيب بل كان يضربه بالحجر حتى يدمي عقباه"[2]، وأمَّا زوجته سليطة اللسان وهي " أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان– لا تقل عن زوجها في عداوة النبي ﷺ، فقد كانت تحمل الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ وعلى بابه ليلاً، وكانت امرأة سليطة تبسط فيه لسانها، وتطيل عليه الافتراء والدس، وتؤجج نار الفتنة، وتثير حرباً شعواء على النبي ﷺ، ولذلك وصفها القرآن بحمالة الحطب، ولمَّا سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق ﷺ، وفي يدها فهر –أي بمقدار ملء الكف– من حجارة، فلمَّا وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ، فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة. ثم قالت:

مُذَمَّما عصينا ... وأمره أبينا ... ودينه قَلَيْنا

ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني"[3].

المطلب العاشر: سعي أبي جَهل

عَلَمٌ مشهورٌ معروفٌ، وشهرته ليست لكونه من أهل الفضل والخير والصلاح، إنَّه عمرو بن هشام المُكنَّى بأبي جهل، شهرته نابعة من كثرة وروده في سيرة النبيِّ محمد ﷺ؛ لأنَّه كان من أشدِّ النَّاسِ وأكثرهم إيذاءً للنَّبِيِّ ﷺ خاصَّة وللمسلمينَ عامَّة، كان يَصُدُّ النَّاسَ عن دينِ اللهِ الحقّ.

أذكرُ هنا موقفاً واحداً من مواقفه البذيئة مع رسولِ الله ﷺ، كما تحدثت عنه سورة العلق، فقد كان هذا الكافرُ ساعياً في طريق الكفرِ، محارباً لطريق الهداية والإيمان.

يقول الله –تعالى–: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ * عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ * أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ * أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ * أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ * كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا

(1) المباركفوري، الرحيق المختوم (ص57).
(2) المرجع السابق، ص63.
(3) المرجع نفسه، ص 63.

بِٱلنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ * فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ * سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب۩ ﴾[العلق:9-19]، لقد نزلت هذه الآيات في أبي جهل، والخطاب هنا للنبيِّ محمدٍ ﷺ، يقول اللهُ له: أرأيت يا محمد هذا الذي ينهاك عن الصلاة للهِ -تعالى-، وهذا الأسلوب فيه تعجيب للسامع، أرأيت إن كان هذا المنْهِيُّ عن الصلاة هو على الهدى، على هَدْيِ اللهِ -تعالى-، أو أمرَ هذا الكافر أبا جهل بتقوى اللهِ -جلَّ ذكره- والإيمان به، والكفِّ عن إيذاء نبيِّه والمؤمنين، لقد جاء "عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا) قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ- لَا نَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ شَيْءٌ بَلَغَهُ -: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ * إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ * أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ * عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ * أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ * أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ * أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾[العلق: 6-13]- يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ - "(1).

ثمَّ يُكملُ اللهُ -تعالى- خطابَهُ ويقول: أرأيت يا محمد هذا الذي ينهاك عن الصلاة إن كذَّبَ وتولَّى وأعرضَ عن الحقِّ وعن طريقِ الله المستقيم، ألم يعلم هذا الكافرُ بأنَّ الله يرى لا تخفى عليه خافية، يرى ما يخفي وما يعلن، لئن لم ينته هذا الكافر عن فعله البذيء معك يا محمد لنسفعن بالناصية أي: "لنأخذنّ بمقدم رأسه، فلنضمنه ولنُذلنه؛ يقال منه: سفعت بيده: إذا أخذت بيده، وقيل: إنما قيل:﴿لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ والمعنى: لنسوّدنّ وجهه، فاكتفى بذكر الناصية من الوجه كله، إذ كانت الناصية في مقدم الوجه، وقيل: معنى ذلك: لنأخذنّ بناصيته إلى النار"(2)، ثمَّ بيَّن اللهُ -تعالى- أنها ناصية كاذبة خاطئة والمقصود صاحبها أبو جهل، ثمَّ قال اللهُ ﷻ: ﴿ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ * سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾، وسبب نزول هاتين الآيتين: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي، فَجَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟! فَانْصَرَفَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَزَبَرَهُ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بِهَا نَادٍ أَكْثَرَ مِنِّي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ *

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنَّة والنَّار/ باب قَوْلِهِ: ﴿ إنَّ الإنسان ليطغى أن رءاه استغنى ﴾ (العلق: 7)، 2154/4: رقم الحديث 2797].
(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج24/ 525).

سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:(وَاللَّهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ اللَّهِ –تَبَارَكَ وَتَعَالَى–)[1]، ويقصد هنا بالنادي المجلس، فكان أبو جهل مغروراً بناديه الذي يكثر فيه الرجال، وكان يظنُّ نفسَه يُفلتُ من عذابِ اللهِ ﷻ، ولكنَّه خابَ وخَسِرَ، ثم قال اللهُ –تباركّ وتعالى– موجهاً نبيَّه للصواب كلا يا محمد لاتطع هذا الكافر في معصيةِ اللهِ –تعالى–، واسجد لربِّك ﷻ وصلِّ له، واقترب منَ اللهِ بالتودد له بالطاعات والأعمال الصالحة[2].

المطلب الحادي عشر: سعي الوليدُ بن المُغيرة

يقول الله –تباركَ وتعالى– : ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا * وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا * وَبَنِينَ شُهُودٗا * وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا * ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ * كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا * سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا * إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ * فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ * إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ * سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ * عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴾[المُدَّثر:11–30]، افتتحت سورة المدثر بخطاب موجهٍ إلى النَّبِيِّ محمدٍ ﷺ ، وجاءت هذه الآيات التي تتعلق بالوليد بن المغيرة، أثناء ذلك الخطاب، فقالَ اللهُ ﷻ اتركني ومن خلقته في بطن أمِّه وحيداً لا مالَ له ولا ولد، وقيل: أي إنَّه لم يكن يعرف أباه؛ لأنَّه ابن زنا، ثم بيَّنَ اللهُ –تعالى– فضلَهَ على الوليد بأنْ جعلَ لهُ مالاً وفيراً ممتداً كثيراً فكان من أكثر أهل قريش أموالاً وغنىً، وجعل له أبناءً ذكوراً كُثر كانوا شهوداً أي: متى ذُكر الوليد ذُكر أبناؤه، وقيل: كانوا دائما شهوداً لا يتفرقون لكثرة مالهم، فلم يكن هناك حاجة تدفعهم لتحصيل المال أو السفر في التجارة أو ما شابه، وقيل: إنَّهم كانوا يُستَشهد بهم في الشهادة، ثم إنَّ الوليد بعد هذا الخير الكثير، يطمع أن يؤتيه الله أكثر من ذلك بأن يجعله من أهل الجنَّة في الآخرة، وهو عاصٍ لله ﷻ، يقولُ الله ﷻ: كلا لن ينال ما يريد، إنَّه كان يبطلُ آيات الله –تعالى– وكان معانداً للحقِّ، سأرهقه بعذاب في الآخرة، بصعود جبلٍ من نار في جهنَّم، سيُرهقُهُ الله –تعالى– بصعود ذلك الجبل، وسبب ذلك أنَّه جلسَ يفكرُ ماذا يقولُ في هذا القرآن وكيف يطعنُ فيه إرضاءً لزعماء قريش، فلُعنَ كيف قدَّر ذلك القول الذي قاله في القرآن، ثمَّ لُعنَ مرة أخرى كيف قدَّرَ ذلك، فله لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة، ثم نظر جيدا ماذا سيطعن وماذا سيقول ثم قطَّبَ جبينه لأنَّه لم يجد شيئاً يقوله في القرآن، ثم بسر

---

(1) الواحدي، أسباب نزول القرآن (ص460).

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج24/ 523–527)؛ والمحلى، والسيوطي، تفسير الجلالين (ص ص814–815).

اسودَّ وجهه وكلح، ثم أدبرَ عن القرآن وعن اتباع الحق واستكبر في ذلك، فقال عن القرآن ما هو إلا سحر يؤثر عن الآخرين إنَّما هو سحر منقول عن أهل اليمن ونجد والحجاز، ما هو بقول الله، إنَّما هو قول البشر، وهنا توَّعدَ اللهُ –تعالى– أن يصليه سقر وهي نار جهنم، التي لا تبقي لحما ولا تذر عظماً، وقيل لا تبقي المرء حياً ولا تذره ميتاً، لواحة للبشر أي تظهر لهم ، وقيل: إنَّها مغيرة لهم ومسودة لهم، والبشر هي جمع ويقصد بها بشرة جلد الإنسان الظاهر، عليها تسعة عشر من الملائكة خزنة لها[1].

وجاء في سبب نزول هذه الآيات: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ وَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَمِّ إِنَّ قَوْمَكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا لِيُعْطُوكَهُ، فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا تَتَعَرَّضُ لِمَا قِبَلَهُ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ وَكَارِهٌ، قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ؟ فَوَ اللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجَزِهَا وَبِقَصِيدِهَا مِنِّي، وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ وَإِنَّهُ ليعلو ولا يُعْلَى، قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ، قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ فِيهِ، فَقَالَ: هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ يَأْثُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا** ﴾ الْآيَاتِ كُلِّهَا"[2].

إنَّ أمثال هؤلاء الساعين في طريق الضلال لاتُذكر إلا لأجل الحذر من السير في ذات الطريق، وللتحذير من الانزلاق في منزلقاتهم منزلقات الكفر والعصيان والإعراض عن الله – تبارك وتعالى– فهم باؤوا بالخسران في الدنيا ومصيرهم العذاب المقيم في الآخرة.

---

(1) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج391/5-394)؛ والجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ج5/ 465-467).

(2) أبو الحسن علي الواحدي، أسباب نزول القرآن، (447).

الخاتمة

الحمدلله ذي الآلاء والنعم، الذي بنعمته وفضله تتم الصالحات، حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الحمدلله الذي لم يدعني وحدي، فقد كنت في كل خطوة أخطوها، وبكل فكرة تجول في خاطري، وبكل ما خطَّت يميني، أستشعر معية الله ﷻ وتوفيقه وسداده، فكان الله معي دوماً والحمدلله، فالقلب يخفق بحبك ربَّاه، وجوارحي مهما أثنت عليك ومجَّدتك ما وفيتك حقك إلهي، الحمدلله الذي أعانني ووهبني القوة لأتمَّ كتابة رسالتي حتى وصلت إلى الختام، فما كان من توفيق فمن ربي ذي الفضل والعطاء، وما كان من خلل أو سهو فمن نفسي ومن الشيطان، فسبحان ربي وحده الذي لا يُخطئ في قول وفعل، فيا رباه اكتب لي التوفيق والقبول وحسن الأجر والثواب على كل ما بذلته بفضلك، وعلى ما واجهني من صعاب فأنت أهل الخير والفضل والعطاء، أما بعد:

وفي الختام أقف على خلاصة الكلام في بحثي والذي بعنوان: (السعي الإنساني بين الهداية والضلال- دراسة قرآنية موضوعية).

أولاً: أهم النتائج:

1- ظهر لي المعنى اللغوي لكل من الألفاظ الآتية: (السعى، الهداية، الضلال) وذلك من خلال المعاجم اللغوية، وكذا ظهرت لي المعاني الاصطلاحية من خلال تعريفات العلماء، وقد اجتهدت الباحثة في إضافة ما يحدد المعاني الاصطلاحية بشكل أوضح.

2- توصلت إلى الألفاظ المقاربة للفظة سعى، والمتمثلة بالمشي والمضي والسباق والمسارعة والذهاب، والاستشهاد عليها بآيات القرآن الكريم.

3- بينت الدراسة أنَّ سعي الإنسان في حياته هو المحور المفصلي والركيزة الأساسية في بيان مصيره في الآخرة، مع رحمة الله -تعالى- بعباده.

4- إنَّ الناس مختلفون في أعمالهم وسعيهم، فسعيهم شتَّى فمنه السعي المحمود المتمثل في طريق الهداية، ومنه السعي المذموم المتمثل في طريق الضلال.

5- تؤكد هذه الدراسة عقيدة البعث والجزاء التي ينكرها ويجحدها بعض عباد الله ﷻ، وذلك يظهر من خلال النصوص القرآنية التي تحدثت عن الساعة وأنَّ الناس مبعوثون ليجزون على سعيهم الذي سعوه في الدنيا على اختلافه كما قلنا بأنَّه شتَّى.

6- بينت الدراسة الصفة التي يتصف بها الله –تعالى– وهي العدل المطلق، بأنَّه يجزي كل نفس بما تسعى.

7- أظهرت ملامح السعي الإنساني في كل من الدارين، الدنيا والآخرة.

8- تحدثت الدراسة عن ميادين السعي في طريق الهداية؛ لكي تكون نبراساً ومرشداً لمن أراد أن يسلك هذا الطريق.

9- أبرزت الدراسة ميادين السعي في طريق الضلال؛ لتحذر العباد من أن يسلكوها، فتكون عاقبتهم الهلاك.

10- اهتمت الدراسة بذكر ثمرات السعي في طريق الهداية؛ لتكون حافزاً ومشجعاً للثبات على ذات الطريق.

11- أظهر البحث ويلات السعي في طريق الضلال؛ لتكون محذراً ومنبهاً يمنع من الاقتراب من هذا الطريق والمضي فيه.

12- تركت الرسالة جانباً مهما للحديث عن بعض نماذج الساعين في طريق الهداية ولاسيما الأنبياء –عليهم السلام– لتكون منارات مشرقة في درب السائرين على ذات النهج.

13- أبرزت الرسالة بعض نماذج من الساعين في طريق الضلال؛ لتكون إشارة خطر، تحذر النَّاسَ من اتباع سيرهم.

14- ظهر من خلال الرسالة مدى حاجة المجتمع المسلم في كل وقت، ولاسيما العصر الحاضر للرجوع إلى هذا الموضوع والتركيز عليه وامتثال الجانب الصحيح منه في الحياة، في وقت تبدلت فيه كثير من الأسس السليمة الصحيحة، وانتشرت فيه الجريمة.

ثانياً: التوصيات:

1- أوصي نفسي أولاً والمسلمين بمراجعة سعيهم وانتهاج طريق الهداية في كل أمور حياتهم، وعدم الغفلة عن ذلك، فلن يقوم الدين ولن ينتشر العدل ولن يعم الأمان إلا بتقوى الله – تعالى– واجتناب طريق الضلال والعصيان.

2- أوصي الآباء والأمهات بالتركيز في تربية أبنائهم على هذا الموضوع بشقيه، الهداية لأجل الاتباع، والضلال لأجل الاجتناب، فالأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع المسلم.

3- أوصي جميع العاملين في المجال الدعوي بتناول هذا الموضوع بعين الاعتبار، فإنَّ الأمة أحوج ما تكون إليه.

4- أوصي المهتمين بالجانب الإعلامي بالاهتمام بهذا الجانب وتسخيره في خدمة الدين من خلال توعية الناس وتبصرتهم بأمور دينهم، وعلى رأس ذلك موضوع هذه الرسالة فهو الأساس في حياة الإنسان في الدنيا والآخرة.

5- أوصي طلبة العلم، ولا سيما العلم الشرعي بالاهتمام بموضوعات القرآن الكريم بالدراسة والدعوة والتطبيق، وربطها بالواقع المعاصر لمدى حاجة أنفسنا وأمة الإسلام إلى ذلك.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

الأزدي، محمد بن الحسن. (1987م). *جمهرة اللغة*. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. ط1. بيروت: دار العلم للملايين.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري*. تحقيق: محمد زهير الناصر. ط1. (د.م): دار ابن كثير.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. (1420هـ). *معالم التنزيل في تفسير القرآن =تفسير البغوي*. تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش. ط4. (د.م): دار إحياء التراث العربي.

أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي. (د.ت). *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*. تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري. (د.ط). بيروت: مؤسسة الرسالة – بيروت

البقاعي، إبراهيم بن عمر بكر. (د.ت) *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. (د.ط). القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر. (2003م). *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*. ط5. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. (1983م). *كتاب التعريفات*. تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. ط1. لبنان: دار الكتب العلمية.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. (1983م). *كتاب التعريفات*. تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر. ط1. لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن جزي، محمد بن أحمد بن عبد الله. (1416هـ). *التسهيل لعلوم التنزيل*. تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي. ط1. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

الجلعود. محماس بن عبد الله بن محمد. (1987م). *الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية*. ط1. (د.م): دار اليقين للنشر والتوزيع.

الجوهري، إسماعيل بن حماد الصحاح. (1987م). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط4. بيروت: دار العلم للملايين.

الحجازي، محمد محمود. (1413هـ). *التفسير الواضح*. ط10. بيروت: دار الجيل الجديد.

حومد، أسعد محمود. (2009م). *أيسر التفاسير(تفسير، أسباب النزول، أحاديث)*. راجعه: محمد متولي الشعراوي، وأحمد حسن مسلم. تقديم: إبراهيم السلقيني. ط4. (د.م): (د.ن).

الخطيب، محمد عبد اللطيف محمد. (1964م). *أوضح التفاسير*. ط6. مصر: المطبعة المصرية ومكتبتها.

الخليج أونلاين. (2016م، 5 أغسطس). *سلطات مصر تحارب الأذان.. وإعلامي يشبهه بـ"صوت الحمير*. تاريخ الاطلاع: 07 يناير 2017م، الموقع: alkhaleejonline.net/articles /1470420128618865800

الخليج أونلاين. (2016م، 5 أغسطس). *مصر.. حتى الصلاة بموافقة أمنية في عهد السيسي*. تاريخ الاطلاع: 07 يناير 2017م، الموقع: alkhaleejonline.net/articles/ 1466095332282998700

الدامغاني، الحسين بن محمد. (1980م). *قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكري*. تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل. ط3. بيروت: دار العلم للملايين.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني. (د.ت). *سنن أبي داود*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (د.ط). بيروت: المكتبة العصرية.

دروزة، محمد عزت. (1383هـ). *التفسير الحديث(مرتب حسب ترتيب النزول)*. (د.ط). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس. (1952م). *الجرح والتعديل*. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. (1999م). مختار الصحاح. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط5. بيروت: المكتبة العصرية.

الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد. (د.ت). *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: محمد سيد كيلاني. (د.ط). لبنان: دار المعرفة.

الرقب. صالح حسين. (2013م). *واقعنا المعاصر والغزو الفكري*. ط1. غزة: الجامعة الإسلامية.

الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (1407هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ط3. بيروت: دار الكتب العربي.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله. (1998م). *أساس البلاغة*. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد. (د.ت). *حجة القراءات*. تحقيق: سعيد الأفغاني. (د.ط). (د.م): دار الرسالة.

أبو زهو، محمد محمد. (1378هـ). *الحديث والمحدثون*. (د.ط). القاهرة: دار الفكر العربي.

ابن سعد. أبو عبد الله محمد. (1416هـ). *الجزء المتمم لطبقات ابن سعد*. تحقيق: عبد العزيز السلومي. (د.ط). السعودية: مكتبة الصديق.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري. (1990م). *الطبقات الكبرى*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (2000م). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط1. (د.م): مؤسسة الرسالة.

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى. (د.ت). *تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى. (1997م). *تفسير القرآن*. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط1. السعودية: دار الوطن.

الشوكاني اليمني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. (1414هـ). *فتح القدير*. ط1. بيروت: دار ابن كثير.

الصابوني، محمد علي. (1981م). مختصر *تفسير ابن كثير*. ط7. بيروت: دار القرآن الكريم.

الصابوني، محمد علي. (1997م). *صفوة التفاسير*. ط1. القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. (2000م). *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط1. دمشق: مؤسسة الرسالة.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. (1984م). *التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)*. (د.ط). تونس: دار التونسية للنشر.

أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي. (د.ت). *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. (د.ط). بيروت: المكتبة العلمية.

عباس، فضل حسن . (2010م). *إتقان البرهان في علوم القرآن*. ط2. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

العجلى، أحمد بن عبد الله. (1984م). *تاريخ الثقات*. ط1. (د.م) دار الباز.

العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر. (1984م). *النكت على كتاب ابن الصلاح*. تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي. ط1. السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية

العسقلاني، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن. (د.ت). *التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع*. تحقيق: محمد الكوثري. (د.ط). القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. (2007م). *الوجوه والنظائر*. تحقيق: محمد عثمان. ط1. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (1422ه). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

العفاني، السيد بن حسين. (1996م). *البحار الزاخرة في أسباب المغفرة*. تقديم: محمد صفوت نورالدين. ط1. السعودية: مكتبة ابن تيمية

العيني، بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد. (2001م). *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. ضبطه: عبدالله محمد محمد عمر. (د.ط). لبنان: دار إحياء التراث العربي.

الغامدي، عيسى بن عبد الله السعدي. (2006م). *حقيقة المثل الأعلى وآثاره*. ط1. السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس. (د.ت). معجم *مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام بن هارون. ط1. (د.م): دار الفكر للطباعة والنشر.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. (1986م). *مجمل اللغة*. دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

فخر الدين الرازي، محمد بن عمر. (1420 هـ). *مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)*. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (2005م). *القاموس المحيط* . تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق. (1418هـ). *محاسن التأويل*. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

القحطاني، سعيد بن علي القحطاني. (د.ت). *نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسُّنَّة*. ط1. الرياض: مطبعة سفير.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين. (1964م). *الجامع لأحكام القرآن =تفسير القرطبي*. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط2. القاهرة: دار الكتب المصرية.

القرني، عائض. (2015م). *التفسير الميسر*. ط5. السعودية: العبيكان للنشر.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن. (د.ت). *لطائف الإشارات= تفسير القشيري*. تحقيق: إبراهيم البسيوني. ط3. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

قطب، سيد، والشاربي، إبراهيم حسين. (1412هـ). *في ظلال القرآن*، ط17. القاهرة: دار الشروق.

القنوجي. أبو الطيب محمد صديق خان. (1992م). *فتحُ البيان في مقاصد القرآن*. تقديم ومراجعة: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. (د.ط). بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

القيرواني، مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيرواني. (2008م). *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه*. ط1. الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة– كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الشارقة.

ابن قيم الجوزية. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. (1991م). *إعلام الموقعين عن رب العالمين*. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن شمس الدين. (د.ط). *إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان*. تحقيق: محمد حامد الفقي، (د.ط). الرياض: مكتبة المعارف.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي. (1999م). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط2. السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع.

لجنة من علماء الأزهر. (1995م). *المنتخب في تفسير القرآن الكريم*. ط18. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب. (د.ت). *تفسير الماوردي=النكت والعيون*. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

المباركفوري، صفي الرحمن. (2006م). *الرحيق المختوم*. ط1. السعودية: مكتبة المورد.

المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (د.ت). *تفسير الجلالين*. ط1. القاهرة: دار الحديث.

محيسن، محمد محمد سالم. (1997م). *الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر*. ط1. بيروت: دار الجيل.

المخزومي، مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي. (1989م). *تفسير مجاهد*. تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل. ط1. القاهرة: دار الفكر الإسلامي الحديثة.

المراغي، أحمد بن مصطفى. (1946م). *تفسير المراغي*. ط1. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل. (1414هـ). *لسان العرب*. ط3. بيروت: دار صادر.

المنياوي، أبو المنذر محمود بن محمد. (2005م). *الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشّنقيطي في تفسيره أضواء البيان*. ط1. القاهرة: مكتبة ابن عباس.

نخبة من أساتذة التفسير. (2009م). *التفسير الميسر*. ط2. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

النسفي، عبد الله بن أحمد أبو البركات. (1998م). *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*. تحقيق: يوسف علي بديوي. ط1. بيروت: دار الكلم الطيب.

النعماني، سراج الدين عمر بن علي. (1998م). *اللباب في علوم الكتاب*. تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

نويهض، عادل. (1988م). *معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر*. تقديم حسن خالد. ط3. بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.

النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي. (1992م). *أسباب نزول القرآن*. تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان. ط2. السعودية، دار الإصلاح.

النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد. (1990م). *المستدرك على الصحيحين*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري. (د.ت). *صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري. (2001م). *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري. (1994م). *الوسيط في تفسير القرآن المجيد*. تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وآخرون. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي. (1415ه). *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. ط1. بيروت: الدار الشامية.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	طرف الآية
21	**62**	﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾.
16، 60	**64**	﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ ... ﴾
		الأنعام
21	**133**	﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾
		الأعراف
102	**19**	﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾
105	**73**	﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ .... ﴾
63	**75**	﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ ... ﴾
63	**60**	﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾
63	**66**	﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾
63	**82**	﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ ...﴾
		الأنفال
113، 63	**30**	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾

طرف الآية	**رقمها**	**الصفحة**
التوبة		
﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ ﴾	**17**	56
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ ﴾	**28**	57
﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ ... ﴾	**67**	27
﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ...﴾	**100**	20
﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾	**105**	30
﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ ... ﴾	**112**	26
يونس		
﴿ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ ﴾	**108**	13
يوسف		
﴿ ۞لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾	**7**	108
﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾	**39-40**	92

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾	**38**	15، 61
﴿قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ ﴾	**50**	12
فاطر		
﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴾	**34**	21
يس		
﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾	**20**	15
﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾	**25**	67
﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ... ﴾	**26-27**	67
الصافات		
﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾	**102**	46
ص		
﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ * وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾	**77-83**	53
﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ ... ﴾	**35**	99
غافر		
﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرض... لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ * ﴾	**26-33**	50

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الزخرف		
﴿ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾	**8**	20
الأحقاف		
﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ ﴾	**15**	45
الطور		
﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ * فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ * كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ * مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴾	**17–20**	36
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾	**21**	28
﴿ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴾	**29**	63
النجم		
﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾	**39**	10، 28، 14
﴿ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴾	**40**	15، 30
القمر		
﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ*يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾	**47–48**	36
الواقعة		
﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا * إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴾	**25–26**	70

الصفحة	رقمها	طرف الآية
		الْحَاقَّةِ
35	**24**	﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾
		نوح
84	**1–20**	﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ...﴾
		المُدَّثر
118	**11–12**	﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا * ﴾
		القيامة
33	**22**	﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾
		الإنسان
71	**11**	﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾
16، 34	**22**	﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾
		النازعات
32	**34–35**	﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾
36	**37–41**	﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ *وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾
15	**22**	﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴾
14	**35**	﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾	**10-16**	70
الليل		
﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾	**1**	24
﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾	**4**	15، 23، 24
﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾	**5-7**	98
﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى * ﴾	**17-21**	99
العلق		
﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ * إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ * أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ * عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ * أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ * أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ * أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾	**6-13**	117
﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ * عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ * ﴾	**9-10**	117
المسد		
﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾	**1-2**	115

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث	اسم الكتاب	درجة الحديث	الصفحة
إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ	صحيح مسلم	صحيح	42
إِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ وَقَفَتِ المَلاَئِكَةُ عَلَى بَابِ المَسْجِدِ	صحيح البخاري	صحيح	43
إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ	صحيح مسلم	صحيح	28
إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ	المستدرك على الصحيحين	صحيح	80
أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ فِي السُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	المستدرك على الصحيحين	صحيح	38
إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ	صحيح البخاري	صحيح	69
إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ	صحيح مسلم	صحيح	27
أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ المِنْطَقَ	صحيح البخاري	صحيح	38
بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ ابْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– آخِذٌ بِيَدِهِ	صحيح البخاري	صحيح	31
جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ	صحيح البخاري	صحيح	47
خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ	صحيح مسلم	صحيح	41
السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	صحيح البخاري	صحيح	45

طرف الحديث	اسم الكتاب	درجة الحديث	الصفحة
سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ وَلَا تَحسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَموَٰتا بَل أَحيَآءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ ﴾	صحيح مسلم	صحيح	67
في قوله يَسعَىٰ نُورُهُم بَينَ أَيدِيهِم	المستدرك على الصحيحين	صحيح	37
قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟	صحيح مسلم	صحيح	117
قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ	صحيح مسلم	صحيح	25
كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ	صحيح البخاري	صحيح	90
كُلُّ الْمَيِّتِ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ	سنن أبي داود	صحيح	28
لاَ يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ	صحيح البخاري	صحيح	57
مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ	صحيح مسلم	صحيح	69
مَنِ اغْتَسَلَ؟ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَصَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ	صحيح مسلم	صحيح	42
مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا	صحيح البخاري	صحيح	45
وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ	صحيح مسلم	صحيح	29

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم